السيرة الزكية للمرأة الإباضية

تقديم : سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي
المفتي العام لسلطنة عمان

إعداد : بدرية بنت حمد الشقصية

السيرة الزكية للمرأة الإباضية

بدرية بنت حمد الشقصية

الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل الفضل والحمد، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة للعالمين والنعمة المسداة إلى الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإن الإسلام الحنيف عُني بالمرأة عناية بالغة لأنها الحائن بشري له مقوماته الشخصية ومكانته الدينية والتعاليم النفسية فهي شريكة للرجل في الحياة ومجريات أحوالها كما أنها شريكة له في الواجبات الدينية شرعها الله تعالى بخطابه كما شرفه وناط بها التكاليف وتبعاتها ووعدها على الإحسان بخير المثوبة وعلى الإساءة بشر العقوبة.

وبسبب هذه العناية برزت في التاريخ الإسلامي شخصيات نسائية فذة في قدراتها دفعت بعجلة حياة الأمة إلى الأمام كان منها الإنتاج الفكري والعطاء المعرفي والإسهام التربوي.

وقد كان لنساء أهل الحق والاستقامة كما لهن دور متميز في المحافظة على قيم الدين والجهاد لإعلاء كلمة الحق ومواجهة تحديات العصور بعزائم الإيمان وهممٍ عالية لا يجد أمامها الدهر إلا أن يطأطئ هامة كبريائه ولكن التاريخ كعادته لم ينصف دور هذه الطائفة ولا نساءها فأرخى سدوله الكثيفة على مآثرهم الحسنة وطمرت أنقاضه المتراكمة أمجادًا لهن تطاول شوامخ الجبال حتى قيض الله عز وجل جهودًا فنية من أبنائنا الباحثين وبناتنا الباحثات قامت بالتنقيب عن هذه المآثر والأمجاد من تحت تلك الأنقاض فجلت ما كان مستورا وأبرزت ما كان مطمورا.

ولقد شاهمت بنتنا الكاتبة الأديبة بدرية بنت محمد خليفة الشخصية بسهامها فاعلة في هذا المجال بيراعها الموهوب عندما أبرزت دور المرأة

الوباصية من خلال ترجمها لنساء إباضيات كن مثالاً فيما قمن به من
أعمال إصلاحية وأدوار تربوية فجزى الله الكاتبة كل خير ووفقها للمضي
قدماً في هذا المضمار وبارك في جهودها الخيرة

وإلى المرأة المثقفة الواعية هذا الكتاب الثمين والله ولي التوفيق

مسقط: ١٨ صفر الخير ١٤٢١هـ أحمد بن محمد الخليلي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وكرّم بني آدم وجعل منهم الـــزوجين الذكـــر والأنـــثى، والصـــلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبـــه أجمعين، أما بعد ؛؛؛

فإنـــه مما لا ريب فيه أن تأمل سير الصالحين ودراسة تاريخهم لمما يحفز الهمـــم الفاترة، ويثير العزائم الخامدة، ويدعو لاقتفاء آثارهم، وسلوك منهاجهم يقـــول الله ﷻ: ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾[1]، وسير أولئك الأعلام تبقى منارات هداية للسالكين طريق الاستقامة ممن يأتي بعدهم، وحياتـــهم هي في حقيقـــتها حجة من الله عز وجل على من حاد عن النهج المستقيم، تدعوهم للسير على خطاهم، وتقول لهم هؤلاء قد وصلوا فما عذركم.

ونحـــن في عصرنا هذا الذي يتعرض فيه المسلمون للغزو الفكري بسبب مـــا ابتلوا بـــه من هزيمة نفسية بعد هزيمتهم العسكرية، وسبب ذلك كله هو ابتعاد المسلمين عن تعاليم دينهم التي هي مصدر قوتـــهم وسر عزهم ، ونتيجة ذلك أن نشأ جيل من أبناء المسلمـــين ليس لهم من الإسلام إلا الاسم ، جيـــل تشرب أفكار أعدائه واستلذها .

---

[1]- يوسف ١١١ .

ولقـــد كانت هجمة الأعداء على المرأة شرسة خطيرة هدف من خلالها إلى تشكيكها في دينها ، لعلمهم ما للمرأة من دور كبير في بناء المجتمع المسلم ، وظهرت آثار ذلك في انحرافات عقدية وسلوكية لدى المرأة المسلمة ، فوجدت في نســـاء المسلمين -إن عُدت بعد ذلك منهن- من ترى في تشريعات الإسلام إجحافـــاً بكرامة المرأة،وهضماً لمكانتها . وسرت فتنة هؤلاء الأعداء إلى كثير مـــنهن فانقلبت لديهن الموازين، فأصبح من بنات المسلمين من ترى في الممثلة الفاجـــرة والمغـــنية الفاسقة قدوة وأسوة جديرة بالاحترام والتبجيل بل والتقليد الأعمى، وأضحى جل اهتمامهن تتبع أخبار أولئك الساقطات، وظن كثير منهن أن تاريخ المرأة في الإسلام انقضى بانقضاء عصر الصحابة والتابعين .

لهـــذا كله، ورغبةً في الخير، ودعوةً إليه، وعملاً بحديث رسول الله ﷺ ((**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولـــد صـــالح يدعو له**))[1] عزمت على تتبع سير الصالحات من أتباع أهل الحـــق والاســـتقامة وتقديمها لأخواتي المؤمنات ولكافة المسلمين، ذلك أن كتباً كثيرة تكفلت بذكر الصحابيات رضوان الله عليهن وتعداد مناقبـــهن، وكذلك كُتب الكثير عن نساء الأمة من مختلف فرقها ومذاهبـــها، غير أنني لم أجد من

[1] – رواه ابن ماجة في المقدمة ٢٠ باب ثواب معلم الناس الخير ٢٤١، ورواه أبو داود في كتاب الوصايا ١٤.

أفـــرد النســـاء الإباضيات بالتأليف[1]، فأقدمت على هذا الأمر على قلة علمي، وقصر اطلاعي، وعلى علمي بما يكتنفه من صعوبات بالغة بسبب ندرة المصادر وشحها، ذلك أنَّ تاريخ أهل الحق والإستقامة أغلبـــه غير مدون، وما دُوّنَ منه فُقِـــدَ أكثره بسبب ما تعرضوا له وتراثهم الفكري من مصادرة وإبادة على مر العصور من قبل أهل الجور والعسف ، وإذا كان أولئك الأبطال منهم - الذين أقاموا دول العدل والهدى، وفتحوا الممالك، وعمروا الأرض بالعمل بكتاب الله ﷻ وســـنة نـــبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ردحاً من الزمن - لم يصلنا من تـــاريخهم المجيد إلا النـــزر اليسير، فكيف بنسائهم الطاهرات اللاتي هن ربات الخدور، وقواعد البيوت، ولكن عسى الله تعالى أن يجعل فيما تبقى وما ظهر من مآثـــرهم ذكـــرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ونسأل الله عز وجل أن يظهر في المستقبل من تراثهم ما هو مخفي الآن ليشرق المزيد من أنوار تاريخهم العطر المجيد وما ذلك على الله بعزيز.

وصدَّرت البحث ببيان موجز لمكانة المرأة ودورها في الإسلام مع ذكر بعض النماذج باختصار ، ثم أخذت في تتبع سير الصالحات من نساء أهل الحق والإستقامة من عصر التابعين إلى عصرنا حسب التسلسل التاريخي.

---

[1] - عـــدا كتاب مسلمات صالحات في روضة الإيمان لمؤلفه بكير بن سعيد اعوشت اقتصر فيه على ذكر نساء وادي ميزاب .

أسال الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع بـــه إنـــه سميـــع عليم ، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبـــه وسلم.

تمهيد

شـــاءت إرادة خالق هذا الكون ومدبره جل وعلا أن يجعل في الجنس البشـــري زوجين اثنين كما هي سنته تعالى في سائر خلقه كما أخبر بذلك في قولـــه: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾[1]، وخص تعالى كلاً من الذكر والأنـــثى بخصـــائص، وجعـــل لكل منهما دوراً في الحياة مكملاً لدور الآخر، وســـاوى بينهما في المثوبة والعقوبة. وكما أكرم الله عز وجل الجنس البشري عمومـــا فقد خصت رحمته الواسعة المرأة بمزيد التكريم فرفع جل شأنه مكانتها، وأعـــاد لهـــا حقوقها، فنعمت المرأة في ظل دين الله الإسلام بالعدل والمساواة والمكانة الرفيعة بما لم تجده في أي شريعة أخرى، وفجّر الإسلام طاقاتـــها ونمّى مواهـــبـــها ، فكان لها الأثر الكبير في مسيرة الدعوة الإسلامية، فقد شاركت المـــرأة المســـلمة في زمن الرسول ﷺ في نشر الدعوة بالقدر الذي خلقت له، وتـــهيـــأت بالفطرة لمزاولته لم تأخذ دور الرجل و لم يلغ هو دورها، بل قامت إلى جنبـــه تشد من أزره وتعينه على حمل رسالة الإسلام، بل وكانت سبّاقة في هـــذا الميدان فكان أول من آمن بالرسول الكريم امرأة، وأول من قدم روحه في ســـبيل الله امرأة ، والمرأة المسلمة عندما أرادت أن تخدم دينها أو تثبت مكانتها ودورهـــا في الحيـــاة لم تتعسف الطريق،و لم تتخذ من أعداء الله هداة، و لم تسر

[1] - الذاريات ٤٩ .

وراء دواعـــي الهوى والشيطان، بل كان كتاب الله عز وجل دليلها، وسنة نبيه عـــليه الصـــلاة والسلام منهاجها، فقامت بواجباتـــها على أكمل وجه، فلم تـــتردد في بذل مالها وروحها وفلذات كبدها في سبيل نصرة دين الله، فسطّرت المرأة المسلمة تضحياتـــها بأحرف من نور في سجل الإسلام الخالد .

وليـــس يخفى على أحد دور الصحابيات رضوان الله عليهن ومواقفهن أكثر مـــن أن نحيط بـــها في هذه العجالة ، وأسماؤهن أشهر من نار على علم، وعـــلى خطى أولئك الطاهرات سارت نساء الإباضية ، فمنذ إشراقة دعوة أهل الحق والاستقامة والمرأة الإباضية مضطلعة بدورها الريادي، ولا عجب في ذلك فـــالمذهب الإباضي إنما هو في حقيقته جوهر الإسلام ولبـــه، وصورته الصافية الناصعة ، وعلى الرغم من شحة المصـــادر لا يزال التاريخ يذكر نماذج مشرفة لنســـاء أهـــل الاســـتقامة في كـــل المجالات ، وقد كان لوعي أئمة أهل الحق والاستقامة من البداية لدور المرأة أثر كبير على مسيرة الدعوة ونموها فيما بعد .

فقد أسهمت المرأة الإباضية في النضال المجيد والجهاد الحق لإحياء الإمامة الإســـلامية العادلة بعدما استولى بنو أمية على مقاليد الحكم في العالم الإسلامي وحولوه مـــن خلافة راشدة تتم برضى المسلمين واختيارهم إلى ملك عضوض جائر لا يراعي للأمة مصلحة، ولا يقيم لها قدراً ، فحاول أهل الحق والاستقامة إعـــادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل ذلك، فشاركت المرأة الرجل في جهاده السياســـي فكـــانت تـــلهب حماسه، وتقوي عزيمته، وتقوم بدورها في المعركة

السياسية بكل ما استطاعت من أعمال ، فكان منهن من يتخذن من بيوتهن التي لا يتطرق إليها الشك، ولا يلاحظها جواسيس السلطة، مقراً للعلماء وطلبة العلم من أهل الدعوة يعقدون فيها الاجتماعات، ويختبؤون فيها من السلطات الجائرة التي تفتش عنهم في كل مكان، ويخبؤون فيها الأسلحة والأموال التي يجمعونها للثورات التي تنشب على ذلك الظلم وتلك السلطة الغاشمة[1].

روي أن أصحاب أبي عبيدة كانوا في يوم مجتمعين للمشورة في منزل امرأة عجوز من النساء العاملات في هذا المجال فباغتتهم الشرطة العباسية فخرجوا و لم يتمكنوا من لبس نعالهم، ووجدت الشرطة تلك النعال فسألوا العجوز: (ما بال هذه النعال ؟) ، فقالت لهم: (عندنا مكاتب[2]، وهذا المكاتب يجمع ما يعطى من قِبل الناس، وقد تبرع له بعض الناس بهذه النعال). فقالوا: (بالله ما ذلك ما ذكرته فإن هذا موضع ريب)، وقال بعضهم: (قد ذكرت العجوز ما ذكرت فلا تعرضوها للبلاء فلعلها تكون صادقة) [3]. فلولا سرعة بديهة هذه العجوز وحسن تصرفها لتعرضت لصنوف الأذى، ومن الأسماء التي

---

[1]- تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٣م، ج٣، ص١٦٣ (بتصرف).

[2]- المكاتب : هو العبد الذي يتفق مع مالكه أن يدفع إليه مبلغاً من المال مقابل أن يتحرر من الرق فيكتبون ذلك بينهم (المنجد في اللغة، دار المشرق، لبنان / بيروت، ط٣٠، ص٦٧١).

[3]- كتاب السير ، أحمد بن سعيد الشماخي،تحقيق أحمد بن سعود السيابي،مطابع سجل العرب،نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط١٩٨٧،١م ،ج١ ،ص٩٩ ،١٠٠.

حفظهـــا الـــتاريخ ســـعيدة المهلبية ودورها في الجهاد والتضحية من أجل أهل الدعـــوة، حيث لم يمنعها منصب زوجها من الثبات على مبدئها والوقوف مع أهل دعوتـــها، فكان بـــمنـــزلها سرداب يأوي العلماء وطلاب العلم ، وبرغم التخفي والسرية لم تسلم المرأة الإباضية من جور بني أمية -كما لم يسلم منهم كـــل مـــن رفع لواء الحق ودعا إلى الإصلاح- فتعرضت المرأة لأقسى ما يمكن تصـــوره من صنوف العذاب و الأذى، فكان زياد بن أبيه وابنه إذا ظفر بامرأة منهن يعرّيها ويصلبـــها ويقتلها، كما فعل بالبلجاء رضي الله عنها، فكانت من نتـــيجة ذلـــك الأسلوب الوحشي في معاملة المصلحين أن امتنعت النساء عن الدعوة العلنية، حتى صرن إذا دعين للاشتراك في ثورة أو تمرد ضد تلك السلطة الظالمـــة يـــرددن جميعـــا (لولا التعرية لسارعنا)[1] . ولكن المرأة لم تمتنع من المشاركة في الدعوة سراً وبعيداً عن أنظار أصحاب السلطة .

ولم تتوقف تضحيات المرأة المسلمة عند حد معين فما كانت تتردد لحظة عـــن خـــوض غمار المعركة، شاهرة السيف في وجه أعداء الله حينما يتطلب الموقف منها ذلك، كما فعلت مريم زوج أبي حمزة الشاري -رضي الله عنهما- حين قاتلت إلى جنب زوجها قتال الأبطال حتى استشهدت بجانبـــه، وهـــي

[1]- نشـــأة الحركة الإباضية، د. عوض محمد خليفات، عمان، الأردن، ١٩٧٨م، ص٦٩،٦٥،٦٤ (بتصرف).

ترتجز [1] وتقول:

أنا الجعيداء[2] وبنت الأعلم [3]

مـــن ســـأل عـــن اسمـــي فـــاسمي مريم بعـــت سِـــواريّ بســـيف مُخـــذَم[4]

ونحن تأخذنا الدهشة والعجب حين نقرأ عن مثل هذه الشجاعة وتلك التضحية، ولكن لا عجب مما يفعله الإيمان حينما تخالط بشاشته شغاف القلوب فليس يخفى شجاعة الصحابيات وثباتـــهن في ميدان المعركة حين يكون الموقف عصيباً محتاجاً لتضحية المرأة، وما جهاد نسيبة بنت كعب عنا ببعيد .

وأينما وجدت المرأة الإباضية كان لها بصمتها الواضحة في الأحداث ، ففـــي الجزائـــر وأثناء مقاومة الاحتلال الفرنسي البغيض، كان للمرأة الإباضية دورهـــا في الجهاد والمقاومة، ينقل علي يحيى معمر عن إبراهيم قرادي قوله (إن الجماعـــات الديـــنية للنســـاء نظمت مؤتمراً تحت رئاسة رئيسة الجماعة الدينية النسائية مامة بنت سليمان بغرداية[5]، وقررن إصدار أوامر بمقاطعة كل ما يتصل

---

[1] – أبـــو حمزة الشاري من البحوث المقدمة في ندوة من أعلامنا الثانية، إشراف وزارة التربية والتعليم والشباب بسلطنة عمان،،١٩٨٩م، ص٢٣٠ .

[2] – الجعيداء : ذات الشعر المنقبض غير المسترسل (المنجد في اللغة، مصدر سابق، ص٩٣) .

[3] – وفي رواية أنا ابنة الشيخ الكريم الأعلم .

[4] – المخذم : القاطع (المنجد في اللغة،مصدر سابق،ص١٧١) .

[5] – مديـــنة فـــي الجزائر بولاية الواحات، تشتهر بالتمور والسجاد (المنجد في الأعلام، مصدر سابق، ص٣٨٨)

بالفرنسيين من لباس ومواد وغيرها) [1]. وكان هذا الموقف المشرف من هذه المرأة المؤمنة من المواقف التي رفعتها إلى مصاف زعيمات النساء المسلمات في العصر الحديث ، فقد اعتبرها صاحب (ثورات النساء في الإسلام) واحدة من اثنتي عشرة امرأة اشتهرن بمواقف بطولية في العالم[2].

على أن هذا الوعي السياسي لم يكن مقتصراً على وقت دون آخر بل كان ذلك منذ القدم حيث يروى عن الجاحظ قوله: (إن الناس كانوا يتمنون أن تكون زوجاتهم إباضيات) وما ذلك إلا لوعيها ولإدراكها الحقيقي لمجريات الأمور [3].

ولم يكن الجهاد في يوم من الأيام مقتصراً على بذل الأرواح، بل كان يسبق ذلك الجهاد بالمال، ولم تكن نساء الإباضية أموالهن بأغلى عليهن من أرواحهن، فقد كن كثيرات البذل والإنفاق بما يملكن من حلي وأموال فكن خير نصير لدعوتهن، فقد كانت النساء الإباضيات في العراق في عهد أبي عبيدة يتبرعن بأموالهن وحليهن التي كان يجمعها للدولة الرستمية وللثورات

---

[1]- الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع ، ط ٢،١٩٩٣م ، المجلد الثالث، ص٥٧٧ .

[2]- المصدر السابق، ص٥٧٧ (بتصرف) .

[3]- المختار بن عوف، محمد شحاته أبو الحسن، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩١ م، ص١٤١، ١٤٣ .

الإباضـــية الناشئة [1]. وكثير منهن وقّفن الأموال لنشر العلم، وعمارة بيوت الله ﷻ، ومصـــالح المســـلمين المختـــلفة، كمـــثل ما فعلت عائشة العبرية، وثريا البوســـعيدية، و شمسة الخليلية وغيرهن ، قدوتـــهن في ذلك نساء المهاجرين والأنصـــار ، روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (**خرج الـــنبي ﷺ يـــوم عيد، فصلى ركعتين لم يصل قبل ولا بعد، ثم أتى النساء فأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تصدق بخرصها[2] وسخابـــها[3]**) ، وفي رواية للـــبخاري أيضـــاً : (**فأتى النساء فأمرهن بالصدقة، فجعلن يلقين الفتخ[4] والخواتيم في ثوب بلال**)[5] .

وكثيراً ما شاركت المرأة المسلمة الرجل برأيها الصائب وفكرها المستنير في مواقف هامة عديدة، وهو حق كفله الإسلام حين أعطاها حرية إبداء الرأي، وتقـــديم المشورة، فكان منهن من نفعت بحسن رأيها المسلمين ولعل أبرز مثال نذكره هنا هو ذلك الرأي السديد لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، عندما

---

[1]- تاريخ المغرب الكبير، مصدر سابق، ج٣، ص١٦٦ .

[2]- الخرص: حلقة صغيرة من ذهب أو فضة (المنجد في اللغة، مصدر سابق، ص١٧٤) .

[3]- السخاب: القلادة (المصدر السابق،ص٣٢٥).

[4]- الفـــتخ: حلقة من الذهب أو الفضة لا فصى لها تلبس في البنصر كالخاتم (المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ،دار الأمواج ، بيروت لبنان، ج١، ط٢) .

[5]- فـــتح الـــباري فـــي شـــرح صـــحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ، ج١٠، ص٣٣٠ - ٣٣١ .

أمـــر الرسول ﷺ أصحابـــه بنحر الإبل بعدما فرغ من عقد صلح الحديبية مع وفد قريش فلم يستجيبوا له، فدخل عليه الصلاة و السلام حزيناً إليها، وأخبرها بإعراض الصحابة عن أمره فقالت رضي الله عنها : (يا رسول الله أتحب ذلك ، اخرج فلا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك، وتدعو حالقك فيحلقك) فأعجب رسول الله ﷺ برأيها وسارع إلى تنفيذه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما[1]، وما أقرب هذه الحادثة بما حدث في عهد الدولة الرستمية بالمغرب الكبير فقد كان للجدة (نانامارن) موقفها الذي سجله لها التاريخ، فعندما اجتمع علماء الفكر والدين لعقد مجلسٍ لتعيين والٍ لجبل نفوسة[2] لم يتفقوا على رأي، حتى عُرضت قضيتهم على هذه الـــمرأة الصالحة فكان في رأيها الخير والصلاح .

وإذا جئنا إلى العلم وطلبـــه فمما لا يخفى على أحد تشريعات الإسلام الحاضـــة على طلب العلم وتكريمه للعلماء، وهذا ليس مقتصراً على جنس دون آخـــر بـــل كلا الجنسين مأموران بطلب العلم، ولسنا الآن في محل سرد تلك النصـــوص مـــن القرآن الكريم والسنة النبوية الدالة على ذلك فهي أكثر من أن نحيـــط بـــها، والتي بعثت همة المرأة المسلمة لطلب العلم والاستزادة منه فنبغت

---

[1]- رواه أبو داود في الجهاد باب الصلح مع العدو رقم (٢٧٦٥).

[2]- جـــبل نفوسة: منطقة جبلية تقع جنوب غربي مدينة طرابلس بالقطر الليبي ونفوسة هي القبيلة الـــبربرية الـــتي عمرت هذه المنطقة فعرف الجبل بـــها لشهرتـــها رغم أنه عمرته قبائل بربرية أخرى (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية،ط١، ١٩٨٧م، ص١٣٤).

الكثير من النساء، وبلغ بعضهن الى درجة أن يفتخر العلماء بالتتلمذ على أيديهن كمثل المنزلة الرفيعة من العلم التي وصلت إليها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وغيرها من النساء ، وقد ترجم ابن حجر في كتابه " الإصابة في تمييز الصحابة " لثلاث وأربعين وخمسمائة وألف من المحدثات وشهد لهن بالعلم ووثقهن ، و"ابن سعد "في طبقاته يحدث عن سبعمائة امرأة روت عن رسول الله ﷺ، أو عن بعض أصحابه [1].

ومنذ بزوغ مذهب أهل الاستقامة بالبصرة[2] اهتم إماما المذهب جابر بن زيد، وتلميذه أبو عبيدة بالمرأة اهتماماً كبيراً، وذلك من خلال مجالس العلم التي تعقد على هيئة دروس لتعليم المرأة القرآن الكريم، وأصول الفقه والعقيدة الصحيحة، وكانت هناك دروس أخرى فكرية في أمور الإسلام المختلفة[3]. وكانت المرأة من خلال هذه الدروس تتفقه في أمور دينها، وكانت الواحدة منهن تنتهز كل فرصة للتعلم والتفقه في أمور دينها، لتعبد الله على بصيرة، فهذه عاتكة بنت أبي صفرة تنتهز زيارة الإمام جابر بن زيد لها فتسأله في عدة مسائل

---

[1] – نساء حول الرسول،محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، ص١٧١ (بتصرف) .

[2]– مدينة تقع في العراق على شط العرب تأسست في خلافة عمر بن الخطاب وازدهرت مع العباسين وأصبحت والكوفة مهداً للدروس اللغوية ومركزاً ثقافياً ومرفأ نفطياً(المنجد في الأعلام، مصدر سابق، ط٢١، ص١٢٩).

[3]– مسلمات صالحات في روضة الإيمان، بكير بن سعيد أعوشت وأحمد بن حمو كروم، المطبعة العربية، غرداية الجزائر، ص٣٦ .

فقهية لا تعرف حكمها[1]، وفي عهد الدولة الرستمية شاركت المرأة الإباضية في ازدهار الحركة العلمية ، ومما ساعدها على ذلك ، اهتمام الأئمة الرستميين بالعلم كأمثالا الإمام عبد الوهاب[2] الذي كان محباً للعلم تواقاً إلى المعرفة، وابنه الإمام أفلح[3] الذي كان عالماً متضلعاً في علوم الشريعة وغيرها كالحساب والفلك بالإضافة إلى كونه محباً للأدب بارعاً في نظم الشعر .

ومن شعره :

العلم أبقى لأهل العلم آثارا ... يريك أشخاصهم روحاً وأبكارا

حيّ وإن مات ذو علمٍ وذو ورعٍ ... ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

---

[1]- فقه الإمام جابر بن زيد، يحيى محمد بكوش، مطابع دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١،١٩٨٦م ،ص٥٣.

[2] - عبد الوهاب بن عبد الرحمن (١٧١ هـ) ثاني أئمة بني رستم أخذ العلم عن أبيه اتصف بغزارة علمه ورجاحة عقله استمرت إمامته أربعين سنة مليئة بالعدل والازدهار (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مصدر سابق،ص٥٦).

[3] - الإمام أفلح بن عبد الوهاب (٢٠٨-٢٥٨هـ) ثالث الأئمة الرستميين، وقد اشتهر بالعدل والشجاعة وقوة الساعد ، كما عرف بشغفه بالعلم والمداولة فيه ومساجلة العلماء ولقد ذكر أنه كان يجلس لأربع خلِق وذلك قبل بلوغة الحلم، استقرت الدولة في أيامه وظل ملازماً طاعة الله وحفظ ما أوجب عليه حفظه من حدود الله وحقوق رعيته، إلى أن توفاه الله، وكانت مدة خلافته ستين سنة (طبقات مشائخ المغرب ، الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد= =الدرجيني،حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي،مطبعة البعث قسنطينة،الجزائر، ج١، ص٧٧، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، أبو زكريا يحيى بن أبي زكريا، تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط ٢، ١٩٨٢م، ص١٢٧)

وذو حيـــاةٍ عـــلى جهـــلٍ ومنقصـــةٍ كمَيّـــتٍ قـــد ثَـــوى في الرمسِ أعصارا[1]

وكـــان في كل مسجد من مساجد الدولة الرستمية قسم خاص للنساء، يفصـــله عـــن قسم الرجال جدار مخرم يستر النساء، ولا يحجب عنهن صوت المدرس، وتلاوة الإمام، وكن يتقاطرن في وقت الصلاة إلى أقرب مسجد إليهن فيصـــلين مـــع الجماعة، ويحضرن الدروس بين الصلوات، في التفسير والحديث وســـيرة الرســـول ﷺ والخـــلفاء الراشدين وسير الصالحين من أهل الاستقامة وتـــاريخهم، والأخلاق وعلاج الأمراض الاجتماعية، حتى صقلت هذه الدروس المـــرأة الإباضـــية فأصبحت صالحة واعية متعلمة يسيطر عليها دينها وعقلها لا غرائزها وأهواؤها[2]، وغدت مثالا للمرأة المؤمنة في جميع نواحي حياتـــها فهي تعمل بدين الله كأحسن ما تعمل المؤمنة ، وتطلب العلـــم كأحسن مـــا يطلب العـــلم، وتشـــترك في مجـــالس العلم وندوات الاجتماع بأوفر نصيب وتسأل المشايخ وتستجيب لنقاش الطلبة ، وهي مع ذلك محافظة على سترها ولباسها، ولم يمنعها إسلامها وحجابـــها من أن تصل إلى أرقى درجات العلم حتى صار مـــنهن العالمـــات والفقيهات، وكأن لسان كل واحدة منهن تنشد قول عائشة التيمورية :

---

[1]- المغـــرب الكـــبير، الســـيد عـــبد العزيـــز سالم، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٨١م ، ج٢، ص ٥٧٤ –٥٧٥ .

[2]- تاريخ المغرب الكبير، مصدر سابق، ج٣، ص٤٠٦ – ص٤٠٧ (بتصرف).

بيـــدِ العفـــافِ أصـــون عـــزَ حجـــابي ... وبعصـــمتي أسمـــو عـــلى أتـــرابـــي
وبفكـــرةٍ وقـــادةٍ وقـــريحةٍ نقـــادةٍ ... قـــــد كمـــــلت آدابي
مـــا ضـــرني أدبي وحســـن تعـــلمي ... إلا بكـــوني زهـــرة الألـــبـــاب
ماســـآني قـــدري وعقـــد عصـــابتي ... وطـــراز ثـــوبي واعـــتزاز رحـــابي
مـــا عـــاقني خجـــلي عـــن العـــليا ولا ... ســـدل الخمـــار بـــلمتي ونقـــابي
عـــن طـــي مضـــمار الـــرهان إذا اشـــتكت ... صـــعب الســـباق مطـــامح الـــركاب[1]

ومـــن الأمثلة الجديرة بالذكر أم ماطوس التي أحبت استكمال دراستها رغـــم تعـــنت أهلها، والعالمة أم يحيى التي اهتمت بقضية تعليم المرأة، فأنشأت مدرســـة خاصـــة بالبنات وقسماً داخلياً لسكنى البعيدات منهن، وأخت الإمام أفلح التي برعت في علم الحساب والفلك والتنجيم [2]، ونحن نجزم بأن الأسماء التي حفظها التاريخ لنا ما هي إلا غيض من فيض، وقطرة من بحر .

وفي وادي ميـــزاب[3] بالجزائر مجلس ديني من النساء العالمات الصالحات الورعـــات يختارهن العزابة [1] بدون تحيز ولا تعصب من العشائر، ويراعون أن

---

[1]- رجال من التاريخ، على الطنطاوي،دار الفكر،دمشق،ط٢، ١٩٨٢م ، ص٣٦٢ .

[2] - مسلمات صالحات في روضة الإيمان، مصدر سابق، ص٣٦ .

[3]- يقـــع فـــي جنوب الجزائر في شمال الصحراء الكبرى في ناحية تسمى الشبكة ، وهي منطقة جميـــلة تتخلـــلها أوديـــة، ويبعد وادي ميزاب عن مدينة الجزائر بثلاثمائة وعشرين ميلاً ونصف الميل، ويتكون وادي ميزاب من سبع مدن خمسة منها متجاورة وهي العطف وبنورة ومليكة وبني يســـجن وغرداية،واثنـــتان تـــبعدان عـــن المجموعـــة وهمـــا بـــريان والقرارة (نهضة الجزائر الحديثة،مصدر سابق،ج١،ص١٤٩).

تكون من كل عشيرة واحدة، وإذا لم يجدوا في عشيرة من توفرت فيها الشروط اختاروا من عشيرة أخرى ، ومما يذكر في التاريخ الإباضي أنه وجد في وادي ميزاب في عصر واحد ثلاث نسوة وصلن إلى مرتبة عالية في العلم يطلق على كل واحدة منهن لقب مامة وهن مامة بنت سليمان في غرداية[٢]، ومامة بنت عبد العزيز في مليكة العليا[٣]، ومامة بنت عبد الله في بني يزقن[٤]، حيث كانت كل واحدة منهن رئيسة حلقة المرشدات في بلدها، وقد جمعهن التدبير الإلهي لتنظيم اجتماعات للتشاور في القضايا المشتركة بين النساء لإصدار التعليمات

---

[١] – العزابة هيئة تمثل خيرة أهل البلد علماً وصلاحاً، وهذه الهيئة تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي، الدينية والتعليمية والسياسية،وهي في زمن الظهور والدفاع تمثل= =مجلس الشورى للإمام أو عامله ومن ينوب عنه، أما في زمني الشراء أوالكتمان فهي تمثل الإمام أو تقوم بعمله، وتشتق كلمة العزابة من الانقطاع إلى خدمة المصلحة العامة والإعراض عن حظوظ النفس وصرف الطاقة لخدمة المسلمين (الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق،المجلد الأول، الحلقة الأولى،ص٩٧).

[٢]– إحدى مدن وادي ميزاب انشئت سنة ٤٧٧هـ وتبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي ٦٠٠كلم جنوباً . (الفكر السياسي عند الإباضية، من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش،عدون جهلان، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع،ط١٩٩١،٢م ، ص١٠٩).

[٣]– إحدى مدن وادي ميزاب (نهضة الجزائر الحديثة،مصدر سابق،ج١،ص١٤٩) (انظر الخريطة عن وادي ميزاب في آخر الكتاب).

[٤] – تسمى آت يسجن تقع في ولاية غرداية في وادي ميزاب،تأسست عام ١٣٢١م من اندماج خمسة قرى على مقربة من المدينة الحالية (الفكر السياسي عند الإباضية ، مصدر سابق،ص ١٠٣).

التي تنفذ في كل القرى الميزابية [1]، وتعقد هذه الاجتماعات بشكل منتظم في مؤتمر " لاإله إلا الله " وهو عبارة عن تجمع سنوي متنقل تعقده حلقات المرشدات بوادي ميزاب في فصل الربيع انطلاقاً من مليكة العليا بعد جلسة تمهيدية في مسجد الشيخ باعبدالرحمن الكرثي للاتفاق على تاريخ البداية ..ثم غرداية ثم بنورة[2] ثم بني يزقن ثم العطف[3] بوادي ميزاب أما القرارة[4] وبريان[5] فهما ينسقان لقاءاتهما معاً لبعد المسافة ، وفي هذه الاجتماعات تلتقي مرشدات وادي ميزاب بالعنصر النسوي في البلدة المضيفة في دار المرشدات التابعة للمسجد أومكان الجامع، فتستهل أشغالها بتكرار كلمة الشهادة "لا إله إلا الله " ألف مرة ثم تلاوة سورة يس وتبارك الملك وسور الخاتمة ثم تتقدم كبيرة المرشدات لكل بلدة بكلمة وعظ وتذكير وإرشاد أمام الحاضرات، وفيه تتدبر المرشدات في الحالة التي آلت إليها النساء في المجتمع ويقررن فيه الدواء الناجع

---

[1]- مسلمات صالحات في روضة الإيمان، مصدر سابق، ص٩٩.

[2]- إحدى قرى وادي ميزاب من الجمهورية الجزائرية (نهضة الجزائر الحديثة، مصدر سابق، ص١٤٩).

[3]- مدينة العطف واسمها بالبربرية "تاجنينت " تأسست سنة ٤٠٢هـ /١٠١٢م (الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، مصدرسابق،ص١٠٩).

[4]- أنشئت القرارة سنة ١٦٣٠م، تبعد عن غرداية، مقر الولاية بحوالي ١١٨كلم (المصدر السابق، ص١٠٩).

[5]- تأسست مدينة بريان عام ١٦٧٩م ،وتبعد ٤٥كلم عن غرداية مقر الولاية بوادي ميزاب (المصدر السابق، ص١٠٩).

لمختلف الأمراض التي حدثت خلال السنة، ويبلغن قراراتـــهن وتوصيات المؤتمر لمجلس العزابة للإشعار والرعاية، وهذا المؤتمر العريق الذي لا ندري بالضبط متى بـــدأ في الـــتاريخ يعتـــبر منتدى حرا لإصلاح شؤون المرأة المسلمة في ميزاب، وتوحيـــد وجهـــات نظرهن في بعض القضايا المصيرية المشتركة، وتجديد العزم لمواصلة المسيرة، وللتواصل بين الأجيال المتعاقبة، ولتبادل التجارب والخبرات في قضـــايا النساء[1]، والمجلس الديني للنساء (حلقة المرشدات) يعين مجلس العزابة في تثقيف المرأة الميزابية وتربيتها تربية دينية صحيحة ، ولهذا المجلس وظائف عديدة منها:

١- نشـــر وغرس العقيدة الدينية والفضيلة الأخلاقية من خلال حلقات الدروس الدينية والوعظ .

٢- محاربـــة الآفات الاجتماعية والبدع الفاسدة المتناقضة مع شريعتنا الإسلامية .

٣- الإشـــراف على حفلات الأعراس والمناسبات الدينية والاجتماعية لكـــي لا يكـــون هنـــاك إسراف أو أغاني ماجنة ومن يتعد على ذلك يحكم عليه بالبراءة .

٤- الإشراف على غسل الأموات من النساء والأولاد الصغار[2].

---

[1]- مسلمات صالحات في روضة الإيمان، مصدر سابق ،ص٩٠.

[2]- نـــهضـــة الجزائـــر الحديثة ، محمد علي دبوز، المطبعة التعاونية، ط١، ١٩٦٥م ،ج١، ص ٢٨٨.

وإذا تردت امرأة من وادي ميزاب في المعصية و لم تُجدِ فيها الموعظة يتبرأ منها المجلس الديني النسوي في مسجد النساء، ويتبرأ منها أقاربـــها فتسرع إلى التوبة .

وإن المـــرأة الميـــزابية بفضـــل التربية الدينية التي تكون لها من والديها وأسرتـــها والمجتمع وهذا المجلس الديني الذي يتعهد النساء ، وينفخ فيها الروح الديـــنية الصحيحة والمبادئ الإسلامية السمحة ، متمسكة بدينها كل التمسك تخـــاف الله وتراقـــبـــه في أعمالها ولا ترضى أن يخالف الدين أمامها ، إنـــها أخلاق المرأة الإباضية[1].

وأمـــا عـــن المرأة الإباضية في عمان فقد كان المؤسس الأول للمذهب الإمام جابر بن زيد عماني الأصل ، وكانت زوجته آمنة وابنته الشعثاء تتلقيان مـــنه الدروس النظرية والعملية من خلال حياتـــهما معه ، حتى غدت الشعثاء والـــتي اســـتقرت فـــيما بعد في نـــزوى[2] مرجعاً للنساء فيما يهمهن من أمور دينهن، ولا ننسى بأن بعض النساء الإباضيات العمانيات برزن في تحفيظ القرآن الكـــريم للناشـــئة كأمثال سالمة بنت سويف، وشيخة بنت علي بن عامر بل لا

---

[1]- الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الثالث، ص٤٦٩ .

[2] إحدى ولايات المنطقة الداخلية بعمان، على مسافة (١٨٠)كليومتر من العاصمة مسقط، اتخذها الأئمـــة عاصمة لهم في أغلب العصور منذ آخر القرن الثاني الهجري وسميت بيضة الإسلام في عهـــد الإمـــام غســـان بن عبدالله لكثرة العلماء والمدارس العلمية فيها (نـــزوى عبر الأيام معالم وأعلام، ناصر بن منصور الفارسي ، إشراف إدارة نادي نـــزوى،ط١،١٩٩٤م ، ص١٧) .

تكاد تخلو قرية إلا وفيها معلم أو معلمة للقرآن الكريم ، وكم يكون حظ الفتاة عظيماً إذا ما كان والدها أو أحد أرحامها عالماً أو فقيهاً فتتلقى العلم على يديه وتناله بيسر وسهولة كمثل ماهلة وسالمة الأختان اللتان أخذتا العلم عن والدهما الشيخ عامر بن سلطان الحجري ، ولا ننسى العالم الجليل حميد بن علي من أهل بدية[1] الذي كان يخصص جزءاً من وقته لتعليم النساء ما يهمهن من أمور دينهن مع أختيه سالمة وفاطمة المجتهدتين في حفظ القرآن وتحصيل العلم[2] ، ولقد برزت كثير من العالمات العمانيات الإباضيات كأمثال عائشة الريامية التي كانت تضرب إليها أكباد الإبل للفتوى ، والعالمة عائشة العامرية ، والأستاذة المربية ماهلة بنت عامر بن سلطان الحجرية وتلميذاتها راية بنت عامر بن سعيد وشمسة بنت علي العذوبية وغيرهن الكثير . وحيثما حلّ الإباضية اهتموا بتعليم المرأة في البصرة وعمان وليبيا والجزائر بل تعداه إلى شرق أفريقيا هناك حيث (زنجبار[3])، فقد اهتم العلماء الإباضية بنشر العلم في المجتمع النسوي لما لها من

---

[1]- تتوسط المنطقة الشرقية تقريبا،بها ١٥ قرية، تقول الرواية أنها نشأت مع بداية نزول جماعة من قبيلة الحجريين وذلك في عام (١٠٠٨هـ) وهم الذين أقاموا القلاع والحصون وشقوا الأفلاج واعتبرت تلك المرحلة بداية عمرانها ولذلك أسموها "بدية " (مسيرة الخير " لمنطقة الشرقية " ، إصدار وزارة الإعلام بعمان، ١٩٩٥م ، ص٥٤).

[2]- شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، الشيخ محمد بن راشد الخصيبي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط٢، ١٩٨٩م ، ج٣، ص٣٣١ .

[3]- زنجبار كلمة فارسية الأصل تعني ساحل الزنج وهي عبارة عن جزيرة واقعة في المحيط الهندي،تبعد عن البر الأفريقي مسافة ٢٥ ميلاً تتبع حالياً دولة تنزانيا، بها الكثير من العرب

دور بـــارز في المجتمع فأخذوا بيدها لتخرج من دياجير الجهل والظلم وتستنير بـــنور الإســـلام ومبادئه ، فقد نشر في جريدة الفلق والتي كان يشرف عليها الأســـتاذ أحمـــد بن محمد اللمكي والشيخ سعيد بن سالم بن محمد الرواحي ما نصـــه: (فعلموا المرأة قبل كل شئ دين الإسلام دين الحياة والعفاف والأمانة والشجاعة وكل خلق كريم لتغرس ذلك في نفوس أبنائها لينشؤوا على الفضيلة بعيدين عن كل خلق ذميم)[1] . ويذكر الجاحظ أن الإباضيات بصفة عامة بلغن من الاهتمام بالعلم والتقوى أنـــهن كن يؤخذن بحفظ سورة النور[2]، لما فيها من أحكـــام تتصـــل بشؤون المرأة المختلفة، كالآداب الخاصة بالستر وغض البصر وحفظ الفرج والآداب العامة المتعلقة بالأسرة والمجتمع[3].

أما في مجال الأسرة فيقول الله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾[4]

العمـــانيين الذيـــن ساروا إليها أيام ازدهار الإمبراطورية العمانية،وتشتهر هذة الجزيرة بزراعة القـــرنفل والنارجيل (جهينة الأخبار في تأريخ زنجبار، سعيد بن علي المغيري، تحقيق: محمد بن علي الصليبي،وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ط١٩٨٦م ، ص٧٣إلى ص٧٨ بتصرف).

[1]- مـــن فعاليات ومناشط المنتدى الأدبي لعام ٩١ / ٩٢، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٩٣م ، ص٢٠٨ .

[2]- ويقصد بـــهذا الكلام أن أقل حفظ الواحدة منهن سورة النور.

[3]- المختار بن عوف القائد الداعية، مصدر سابق، ص١٤١-١٤٣ (بتصرف).

[4]- الروم ٢١ .

ويقـــول الرســـول ﷺ : ((**الدنيـــا مـــتاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**))[1].

إن الـــزواج مرحلة مباركة في عمر المرأة، وغاية المرأة العاقلة أن تكون زوجـــة صالحة وأماً رؤوماً، لا يمحو في نفسها الميل إليهما والرغبة فيهما ، ولا يشـــغلها عن ذلك شيء ولو حازت المال والمجد والشهرة وبلغت في العلم أعلى مرتـــبة ما أغناها كل ذلك عن الزواج والأمومة،كيف وهي إنما خلقت لحمل الـــنشء ورعايته وتربيته ، ولنا في الصحابيات رضي الله عنهن القدوة والأسوة الحســـنة ، فـــلم نسمع أو نقرأ أن واحدة منهن تركت الزواج بدعوى التفرغ لطلب العلم أو غير ذلك ، بل لم تكن إحداهن ترى تعارضاً بينهما، ولم يعرف ذلـــك المجتمع الطاهر آفة اسمها العنوسة ولا تأخر سن الزواج، بل كان تكوين الأســـرة الصالحة نوع من الجهاد تخوضه المرأة المسلمة لإنشاء جيل مسلم مجاهد يحمـــل رايـــة الإســـلام ويرفع كلمة التوحيد ، فالمرأة عماد الأسرة في التربية والـــتوجيه، وعماد الأمة في النصيحة لله ولرسوله، وهي ظهير الرجل في كفاحه مـــن أجل دينه ووطنه، إن استشارها نصحته، وإن رجع إليها من عنت العمل ومشـــاق الكفاح غمرته بالمحبة والحنان ووطأت له كنف المنـــزل فوجد الراحة لنفســـه و لبدنه و لقلبـــه، تقوم على شؤون البيت قيام العارفة ،وتتصرف في

[1]- صحيح مسلم،١٠/٥٦، كتاب الرضاع : باب استحباب نكاح البكر .

مال الزوج تصرف المخلصة الأمينة [1]، ويكفي المرأة المسلمة فخراً وعزةً أن أول قلب خفق بالإسلام وتألق بنوره بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قلب امـــرأة فاضـــلة وهي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، فقد عاشـــت رضـــي الله عنها معه عليه الصلاة والسلام ربع قرن من الزمن كانت خلالهـــا مثالاً صادقاً للزوجة الوفية المطيعة أحسنت عشرة زوجها وأعانته على خـــلوته قبل البعثة عليه السلام وثبتته وصدقته وسبقت الناس إلى الإيمان برسالته وأحسنت إليه ساعة شدته وآزرته في أحرج أوقاته ويكفيها قول رسول الله ﷺ عنها: ((**آمنت بي حين كفر بي الناس وصدقتني حين كذبني الناس وأشركتني في مالها حين حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء**))[2]، ويذكـــر الـــتاريخ الإســـلامي عـــدداً من الصحابيات اللاتي كن مثالاً للصبر والإحسان والإخلاص في خدمة أزواجهن وبيوتـــهن على ما كانوا فيه من قلة ذات اليـــد وضـــنك العيش فهذه الزهراء - رضي الله عنها - ابنة الرسول عليه الصـــلاة والسلام زوج الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه - تشكو ما تـــلقى في يدهـــا من الرحى لزوجها علي ؛ فيذهب إلى الرسول الكريم يسأله خادماً لها ، فيأتي رسول ﷺ إلى ابنته وزوجها فقال : ((**ألا أعلمكما خيراً مما ســـألتماني؟ إذا أخذتمـــا مضـــاجعكما فسبحا الله ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا**

---

[1] – الإباضية في موكب التاريخ، المجلد الأول، الحلقة الثانية، القسم الثاني، ص٢٢٩ (بتصرف).

[2] – فتح الباري في شرح صحيح البخاري، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، ٥٣٩/١.

وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم)) [1] وهذه أسماء بنت أبي بكـــر الصديق تقوم بخدمة زوجها الزبير بن العوام والقيام بأعمال منـــزلها وكـــان لزوجها فرس، تسوسه وتحتش له وتعلفه وتخرز الدلو[2]، وتعجن وتنقل النوى على رأسها من مكان بعيد[3] .

وعـــلى هذا النهج سارت نساء أهل الدعوة فقد ضربت المرأة الإباضية المثل في السعي لسعادة أسرتـــها وزوجها، فكان الزوج يحظى في ظلها سعادةً وهـــناءً ويفيـــض الدار بـــها أنساً وحباً وتفتح بيمينها واستقامتها وإخلاصها وحـــبـــها للزوج والأسرة أبواب البركات والخيرات ، وما تدرسه هذه الزوجة في المســـجد تجســـده واقعـــاً حياً في حياتـــها وسلوكها سواء في بيتها أو في مجتمعها[4].

وبذلت المرأة الإباضية وقتها وجهدها من أجل توفير الجو العائلي السعيد للزوج، وكانت مثالاً لكل امرأة مؤمنة في إعانة الزوج على أمور الدنيا والآخرة كمثل ما فعلت زوجة المهدي، وأم جلدين، وأم زورغ الأرجانية، وأم زعرور، وأم يحيى، وبـــهلولة وغيرهن الكثير .

---

[1] – المصدر السابق،٤٣٣/٧ كتاب فضائل الصحابة :باب مناقب علي بن أبي طالب .

[2] – أي تجعله صالحا للاستعمال وتحكم أمره (المنجد في اللغة ، ص١٧٣).

[3] – الإصابة في تمييز الصحابة ،ج٤، ص٢٣٠ .

[4] – تاريخ المغرب الكبير، ج٣ ، ص٤٠٦ – ٤٠٧ (بتصرف).

وأمـــا في مجـــال الأمومة -وهي وظيفة المرأة التي خلقها الله ﷻ من أجـــلها- فقد كانت المرأة المسلمة فيضاً عامراً بالحب والعطف، ومثالاً للحنان والإيـــثار والبذل والتضحية والصبر والفداء، أدركت بـــهدي دينها مسؤوليتها في تربية أولادها التربية الإسلامية الصحيحة، وتنشئتهم التنشئة الصالحة القائمة على مكارم الأخلاق، فإن الأطفال هم رجال المستقبل ومعقد الآمال وهم غد الأمة المنتظر، وهذا كله يتطلب حسن تربيتهم وسلامة إعدادهم للحياة، بحيث يكونـــون عناصـــر بـــناءة فعالـــة يعود خيرهم على آبائهم وأمهاتـــهم وعلى مجتمعهم، وفعلاً لا تكاد ترى عظيماً من عظماء أمتنا ممن عاركوا خطوب الدهر وطأطأت لرجولتهم نواصي الحادثات إلا هو مدين بذلك إلى أمه العظيمة، وفي تاريخـــنا مـــن نوابه النساء كثيرات، أودعن في أبنائهن سر النبوغ وأصّلن فيهم خليقة العظمة، وكن وراءهم في كل ما أثّلوه من أمجاد، وما بلغوه من مكارم ، وما حققوه من أعمال عظيمة .[1]

وصدق الشاعر إذ يقول :

هـــي الأم لا شـــيء يعادلهـــا عـــندي ... ولم أر في الدنيـــا ســـوى بـــرها بجـــدي
لهـــا المـــنزل الأعـــلى بغـــير مـــنازع ... لهـــا الحب والإخلاص والصدق في العهد
إذا مســـني الضـــر ارتمـــت بـــتهالك ... حـــواليّ واستغنت عن النـــوم بالسهـــد
عـــلى خدهـــا تجـــري الدمـــوع ســـخينة ... كســـيل تلاقـــى بين منخفـــض وهـــد

[1]- شخصـــية المرأة المسلمة، محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، ط٤، ١٩٩٧م ، ص ٢١٠ــ٢١٥ (بتصرف).

تكـــلمني همســـا وتـــرنو كمـــا رنـــت ... إلـــى خشـــفها أدماء في مهمة جـــرد
ذوى عشـــبـــه والمـــاء غـــار وضـــرعها ... يجـــف وقـــد أضنتهما شـــدة الجهـــد
إلى أن نمـــا عـــودي وأمســـت تشـــق لي ... طـــريق الهدى كي لا أحيد عن الرشـــد
تخلصـــت مـــن جهـــلي بفضـــل جهودها ... ومـــا حـــال يومـــا عن نصائحها قصدي
تعـــلمني مـــا لســـت مـــن قـــبل عالمـــا ... بـــه وتـــريني مسلك الخـــير والســـعد
فإيـــاك إيـــاك العقـــوق ولا تقـــل ... لهـــا (أف) أوتغتابـــها بسوى الحمـــد
وإيـــاك ايذاهـــا فـــلولا وجودهـــا ... وحـــق رضـــاها لم يكـــن لك من وجد
ولا تـــنس أن تدعـــو لهـــا كـــل ســـاعة ... لـــتحفظ هـــذا الـــبر في ولـــد الولـــد[1]

[1]- دراسات عن الخليج العربي، عبد الله الطائي، مطبعة الألوان الحديثة، ط، ١٩٨٧م، ص٣٣١.

الفصل الأول

(٢ هـ - ١٥٠ هـ)

- ❖آمنة زوج الإمام جابر بن زيد
- ❖الشعثاء بنت الإمام جابر بن زيد
- ❖عاتكة بنت أبي صفرة
- ❖هند بنت المهلب
- ❖البلجاء الخزامية
- ❖عبيدة بنت مسلم بن أبي كريمة
- ❖سعيـــــدة المهلبية

آمنة زوج الإمام جابر بن زيد

هـــي دعوة الإمام التابعي الشهير جابر بن زيد[1]، ذلك أن الإمام جابر قال: (سألت ربي ثلاثاً فأعطانيهن، سألت زوجةً مؤمنةً، وراحلةً صالحةً، ورزقاً حلالاً كفافاً يوماً بيوم) فكانت دعوة مستجابة،وكانت اختيار الله ﷻ له هذه المرأة فالطيبات للطيبين.

عاشـــت آمنة في كنف الإمام ترتوي من معين علمه الدفاق، كيف لا وهو الذي شهد له أكابر علماء عصره بسبق العلم ، فقال عنه الصحابي الجليل ابن عباس: (اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه) وقال عنه الصحابي الجليل أنس بن مالك عندما بلغه موته: (مات أعلم من على ظهـــر الأرض) وإذا كان الالتحاق بطبقة التابعين شرفاً عظيماً، تلك الطبقة التي وإن فاتـــها شرف الالتقاء بخير خلق الله نبينا محمد ﷺ لم يفتها شرف الالتقاء بصـــحابته ﷺ، فقد نالت آمنة ذلك الشرف ودخلت في هذه الفئة بل وكانت تستشير وتتتلمذ على يد أوسعهم علماً وفضلاً البحر عبد الله بن عباس، تروي

---

[1]-- جابر بن زيد (١٨هـ ــ ٩٣هـ) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد البصري العماني وأصله من فرق وهي بلدة في ولاية نـــزوى ولد في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وارتحل إلى البصرة طلبا للعلم ، وكان صاحب ابن عباس قال جابر: (أدركت سبعين رجلا من أهل بدر فحويت ما بين أظهرهم إلا البحر) يعني ابن عباس وقد أخذ العلم عنه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة والربيع بن حبيب وغيرهم وهو أصل المذهب الإباضي وبلغ مكانة مرموقة في علمي الحديث والفقه (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مصدر سابق ،ص٥٠)

السير أن آمنة اكتوت لعلة[1] أصابتها، فغضب عليها الإمام جابر وهجرها؛ فشكته لأستاذه عبد الله بن العباس ﷺ؛ فطلب منه شيخه علة الغضب والهجران ، فقال جابر: (إنها لم تتوكل على الله) وتلا قوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾. فقد أراد الإمام جابر أن يختار لزوجته أعلى الدرجات فأراد لها الأخذ بالعزائم وأن تعتقد أن الشافي هو الله تعالى وأن تتوكل عليه غاية التوكل وأن تتخلى عن الدواء، ولكن الزوجة كان لها رأي آخر، وهو أن تأتي بالأسباب المشروعة للعلاج، ومع ذلك تتوكل على الله فهو الشافي وتأخذ بالرخصة، استناداً الى قول الرسول ﷺ: ((**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته**))[2] وكان موقف ابن عباس مؤيداً لموقفها واحتج لرأيه بأن طلب من الإمام جابر أن يتم الآية: ﴿إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾[3].

وكما أنها كانت تتلقى العلوم النظرية منه، فقد كان في سلوكه معها أعظم موجه ومعلم؛ فقد خرجت آمنة ذات مرة إلى الحج و لم يخرج معها تلك السنة ، فلما رجعت سألها عن كريها [4]، فذكرت سوء الصحبة و لم تثن عليه

---

[1]- العلة :المرض الشاغل (المنجد في اللغة ،مصدر سابق،ص٥٢٣).

[2]- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت لبنان،ج٢،ص١٠٨.

[3]- الطلاق: ٣ .

[4]- كريها: الذي اكترى جملة من الناس ليوصلها، والكري الذي يكريك دابته (لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن أكرم ابن منظور، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ، ج١٥، ص٢١٩).

بخـــير، فخـــرج إليه جابر وأدخله داراً، واشترى لإبله علفا، وعولج له طعام، واشترى له ثوبين كساه بـــهما، ودفع له ما كان مع آمنة من قربة وأداة وغير ذلـــك، فقالت آمنة لزوجها جابر: (أخبرتك بسوء الصحبة ففعلت ما أرى) فقـــال لهـــا: (أفنكافـــئه بمثل فعله فنكون مثله، لا بل نكافيه بالإساءة إحساناً وبالسوء خيرا)[1] وفي هذا درس بالغ لها بدفع الإساءة بالإحسان تحقيقاً لقول الله عز وجل : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة ﴾[2].

[1]- نفحات من السير (الإمام جابر بن زيد) د . فرحات الجعبيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ص٣٨، ٣٩، ٦٠ (بتصرف) .

٣- المؤمنون : ٩٦.

الشعثاء بنت الإمام جابر

هذه سيدة أخرى نشأت في ذلك البيت المبارك بيت الإمام التابعي جابر ابن زيد ﷺ، وهي أيضا من طبقة التابعين، وقد اشتهرت بلقبها الشعثاء حتى نسي اسمها فما عاد يعرف لها اسم غيره، وهي ابنة الإمام جابر، وإنما سميت بالشعثاء لشعوثة [1] رأسها وكني أبوها به فأبوها (أبو الشعثاء جابر بن زيد) ، وقد كانت تسأل أباها دهناً تلين به شعرها، ويعتذر لها بقلة ما في يده ، وأن ما عنده من الدهن أولى أن يستعمله للسراج ويقول لها: (استعملي الماء الساخن بدل الدهن)[2]، وروي أن جابر بن زيد سرج سبعين دبة[3] حل[4]؛ فطلبته ابنته شيئا يسيرا لرأسها، وقالت له: (إن رأسي شعث من قلة الحل) ، فقال لها: (عليك بالماء فما تأخذينه أنت يكفي مسألة[5] نؤلفها فينتفع بها المسلمون)[6] .

شعر شعث: أي مغبر ومتلبد، الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه د.مبارك ابن عبدالله الراشدي، مطابع الوفاء ،المنصورة مصر، ط١، ١٩٩٢م ، ص ٣٩ .

[2]- منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، خميس بن سعيد الشقصي، تحقيق سالم بن حمد الحارثي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ج٢، ص٦١٥ .

[3]- الدبة: قارورة الزيت ونحوه (المعجم الوسيط ،مصدر سابق ، ص٢٦٨).

[4]- الحل: هو الدهن (لسان العرب،مصدر سابق، ج١١،ص١٧٣).

[5]- أي كتابة مسئلة .

[6]- الزمرد الفائق في الأدب الرائق، محمد بن راشد الخصيبي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط١، ١٩٦٣م ،ج٢، ص ١١ .

لم يأت في المصادر ذكر مكان ولادتـــها ونشأتـــها، ولكن أغلب الظن أنـــها ولدت ونشأت في البصرة ، ذلك لأن الإمام جابر إنما قضى أكثر عمره في البصرة، أو متنقلاً بين مكة والمدينة ، ورجع إلى عمان عندما نفاه الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم ما لبث أن عاد إلى البصرة فتوفي بـــها ولعل أسرته استقرت في عمان [1] .

وهـــل هي ابنة آمنة أشهر أزواج الإمام أم أن لها أماً غيرها ؟، كل ذلك مـــا لا يمكننا معرفته ولا يوجد دليل عليه،لكن يكفي أن نعلم أنها أخذت العلم مـــن ذلك المعين الصافي وارتوت منه ثم قامت بدورها في تبليغ العلم ونشره ، حيث كانت مقصد النساء فيما يهمهن في أمور دينهن وخاصة في مجال الفتوى والشـــورى ، وعاشـــت حيـــاة الصالحات المؤمنات حتى لقيت ربـــها راضية مرضية، وقبرها معروف إلى اليوم في فرق من أعمال نـــزوى بعمان .

[1]- نـــزوى عبر الأيام معالم وأعلام،مصدر سابق،ص ٥٨ .

عاتكة بنت أبي صفرة

نشـــأت هذه الفاضلة الكريمة وترعرعت في بيت شرف وعظمة ، فقد عاشـــت في بيئة عربية إسلامية في آخر القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري .

ولمـــا ازدادت الكراهية بين الأزد والحجاج بن يوسف الثقفي[1] بسبب جوره وتعسفه ، انضم كثير منهم إلى جماعة المسلمين (الإباضية) وعلى رأسهم أفراد من آل المهلب، وكان منهم عاتكة بنت أبي صفرة وهي من عائلة المهلب ابن أبي صفرة القائد الشهير ولعلها أخته .

كـــانت عاتكة من أشد الناس حماساً للمذهب تنفق مالها في سبيل نشر مـــبادئ أهـــل الدعوة وللمحتاجين منهم، لم يكن إنفاقها طلباً للدنيا الفانية أو متاعها الزائل بل كان ابتغاء الثواب من الله تعالى يوم القيامة[2]، قال أبو سفيان محـــبوب بـــن الرحيل: (أرسلت عاتكة بجزورٍ[3] إلى جابر فأمر رجلاً أن ينحرها ويجـــزئها بين الجيران، فأكثر جزء جابر فقال له جابر: (أجميع جيراننا أخذ مثل

---

[1]- الحجاج بن يوسف الثقفي: أحد عمال بني أمية الجورة، كان سفاكاً للدماء ظالماً جباراً، قتل كثيراً من أفاضل رجال عصره كسعيد بن جبير وغيرهم وكل مظالمه في ميزان أسياده من دون أن ينقص من وزره شيء، وعند الله تلتقي الخصوم .

[2]- نشأة الحركة الإباضية،مصدر سابق،ص١٠١ .

[3]- الجزور: هو كل ما يصلح أن ينحر من الإبل،وفي معنى الناقة أو الجمل(لسان العرب، مصدر سابق، ج٤، ص١٣٢) .

هذا) قال له الرجل: (لا)، فقال له جابر: (ساو بيننا وبين جيراننا)، ونهاه عن عدم التسوية) [1].

وقد علمت عاتكة أن علم الحلال والحرام والتفقه في أمور الدين من أهم مـــا يجب أن يحرص عليه المسلم، حتى يعبد الله على بصيرة من أمره فلا يقع في الشـــبـــهات فضـــلاً عن المحرمات، فكانت حريصة على اقتناص الفوائد تسأل العـــلماء في كل ما يشكل عليها من أمر دينها ودنياها، فعن أبي سفيان محبوب ابـــن الرحيل[2] قال: (دخل أبو نوح صالح الدهان[3] على عاتكة بنت أبي صفرة فوجدها في البيت، فقال: (كأني أرى مجلس رجل) قالت: (نعم، الآن خرج من عندي الإمام جابر بن زيد) قال: (فهل ظفرت منه بشيء ؟) قالت: (نعم سألته عن ثلاثة أشياء كن في نفسي :-

---

[1]- العقود الفضية في أصول الإباضية، سالم بن حمد الحارثي، دار اليقظة العربية، سوريا ولبنان، نشر طالب الضامري، ص٩٦ .

[2]- أبو سفيان محبوب بن الرحيل: ممن أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم والربيع بن حبيب وكانت والدته تحت الربيع بن حبيب، كان حجة في السيرة لا يكاد يشذ عنه شيء من سيرة الرسول ﷺ ولا سير المسلمين من بعده وهو ممن دون أخبار أهل الدعوة . وروى عنه أبو غانم الخرساني في مدونته (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مصدر سابق، ص١٠٨).

[3]- أبو نوح صالح الدهان: هو شيخ التحقيق وأستاذ أهل الطريق وناهج طرق الصالحين وناقض دعاوي الزائغين وكان يحرص على تحصيل الفوائد من كل من يثق بـــه أخذ عنه الحديث والفروع وكان ذا خشية لله وخضوع (طبقات المشائخ بالمغرب، مصدر سابق ، ج٢، ص٢٥٤).

١- ســـألته عـــن لباس الخفين، قال إن كنت تلبسينها من حر الأرض وبردها وخشـــونتها فـــلا بـــأس فلا تبالين وإن انكشفا، وإن لبستهما لغير ذلك فلا تبديهما[١].

٢- وسألته عن حلي عندي ليتيمة يقوم بمال، فيستعار مني ، قال إن أعرته فإنك ضامنة.[٢]

٣- وعـــن عبد كان من أنفس مال عندي، وأوثقت في نفسي أن أعتقه لوجه الله، ثم استخلفته على ضيعتي، قال أخرجيه ولا تدخليه في شيء من منافعك)[٣].

[١]- فقه الإمام جابر بن زيد، يحيى محمد بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١٩٨٦،١م، ص٥٣ .

[٢]- طبقات المشائخ بالمغرب،مصدر سابق، ج٢، ص١٠٤ .

[٣]- العقود الفضية في اصول الاباضية، مصدر سابق، ص١٠٤ .

هند بنت المهلب بن أبي صفرة

هـــذه المرأة ارتوت علومها الدينية من بحر العلم ومؤسس المذهب الأول الإمـــام جابر، وبذلت جهدها في ذلك، حتى أشرقت أنواره في قلبـــها فتجلى ذلـــك تقـــوى لله في سلوكها وخشيةً له وشكراً لفضله وآلائه، وفاضت ينابيع الحكمـــة مـــن لســـانها دررا، و لم تبخل بعلمها على بنات جنسها فكانت لهن الأخت الداعية الناصحة .

وقـــد كانت معروفة بولائها للمذهب الإباضي مع أخيها عبد الملك بن المهـــلب بن أبي صفرة، وهند هذه هي التي تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفي، وطلقها عندما ساءت علاقته بآل المهلب والإباضية .

روت عـــن جابـــر بن زيد فقالت: (إن جابر بن زيد كان أشد الناس انقطاعاً إليَّ وإلى أمي، وكان لا يعلم شيئاً يقربني إلى الله عز وجل إلا أمرني به، ولا شيئاً يباعدني عنه إلا نـــهاني عنه، وكان ليأمرني أين أضع الخمار من جبهة المرأة)[1].

وروت أيضـــا عن جابر بن زيد فقالت: (خرجنا من الطاعون فراراً إلى العـــراق وكـــان جابـــر بن زيد يأتينا على حمار فكان يقول: (ما أقربكم ممن أرادكم)

[1] - بحث في ندوة من أعلامنا الأولى، مصدر سابق، ص٢٦ .

روي عـــنها بعـــض الحكم المأثورة فمن ذلك قولها: (إذا رأيتم النعمة مستدبرة فبادروها بالشكر قبل حلول الزوال)[1].

وكانت تقول: (النساء ما زُيِّن بشيء كأدب بارع تحته لب طاهر)[2].

وتشـــير الأخبار أن هنداً كانت ذات مال ، وإنـــها بعثت إلى جابر بن زيد جزوراً في رمضان، فنحرها وعالج بـــها طعاما لأصحابـــه[3] .

[1] – فقه الإمام جابر بن زيد، مصدر سابق، ص٦٦ .

[2] – أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، بدون تاريخ، ج٥، ص٢٥٤- ٢٥٥ .

[3] – فقه الإمام جابر ين زيد، مصدر سابق، ص٦٦ .

البلجاء الخزامية

كـــانت البلجاء امرأة من بني يربوع عاشت بين البصرة والأهواز، ومن مجـــتهدات الإباضـــية على مذهب أبي بلال اشتهرت بالورع والزهد والنسك، وكانت تحرض على ابن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته، وكان زياد [1] وابنه قد اتـــبعا أســـلوباً قاسياً مرعباً تجاه من يدعو إلى الحق والعدل شأنه في ذلك شأن عمال بني أمية الظالمين.

ومما جاء عن البـــلجاء الخزاميـــة أن غـــيلان بن خرشة الضبي لقي أبا بلال مرداس بن حدير [2]، فقال له: (إني سمعت البارحة الأمير عبيد الله بن زياد [1] يذكر البلجاء ، وأحسبـــها ستؤخذ) فمضى إليها أبو بلال، فقال لها: (إن الله

---

[1]- زياد بن أبيه: من أهل الطائف، أسلم في عهد أبي بكر ولاه علي بن أبي طالب إمارة فارس امتنع عن معاوية ثم ألحقه معاوية بنسبـــه لما تبين له أنه أخوه من أبيه (أبي سفيان) فكان عضده الأقوى ولاه بعد ذلك أمر البصرة والكوفة وسائر العراق واشتهر بالظلم والجور فلم يزل في ولايته إلى أن توفي وخلف من بعده ابنه عبيد الله بن زياد (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية،مصدر سابق،ص٤٣).

[2]- أبو بلال مرداس بن حدير: من عظماء الشراة وأحد الخطباء الأبطال العباد شهد صفين مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأنكر التحكيم وشهد النهروان سجنه عبيد الله بن زياد في الكوفة حتى نجا من السجن فجمع أربعين رجلا ونـــزل بـــهم في آسك (بالأهواز) فوجه إليهم عبيد الله جيشا كبيرا فهزموه ووجه ثانيا يقوده عباد بن علقمة فنشب قتال في يوم الجمعة إلى الظهر وتواعد الفريقان إلى ما بعد الصلاة ، فلما كان مرداس وأصحابـــه في صلاتهم أحاط بـــهم عباد فقتلهم عن آخرهم بين راكع وساجد وحمل رأس مرداس إلى ابن زياد (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مصدر سابق، ص٤٩).

قـــد وسّـــع على المؤمنين في التقية[٢] فتغيبـــي واستتري؛ فإن هذا المسرف على نفســـه الجبار العنيد[٣] قد ذكرك) فقالت: (إن يأخذني فهو أشقى بي، فأما أنا فأخشى أن يلقى أحد بسببـــي مكروها) . فوجّه إليها عبيد الله بن زياد ، فأوتي بـــها، فقال لها: (إنك حرورية[٤] محلوقة الرأس) فقالت له: (ما أنا كذلك) قال لأصحابـــه: (لأرينكم منها عجباً اكشفوا رأسها) فمنعتهم فقال: (لأكشفن أحســـن بضعة منك) قالت: (لقد سترته حيث لم تستره أمك) قال: (إيه، ما تشهدين علي؟) قالت: (شهد الله عليك ثلاث شهادات بقوله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ و﴿ الظالمون ﴾، و﴿ الفاسقون ﴾[٥]، وشهدت على نفسك أن أولك لزنية وآخرك لدعوى) . فعض لحيته وأمر بقطع يديها ورجليها ورمى

---

[١]- عبيد الله بن زياد وال فاتح جبار وخطيب ولد بالبصرة وأصبح أميرا عليها قاتل الإباضية وكان ظالما جائرا وكان مقتل الحسين بن علي على يده وثب عليه أهل البصرة بعد موت يزيد لظلمه فاختفى في الشام وقتله إبراهيم بن الأشتر في أرض الموصل بالعراق (المصدر السابق، ص٥٠).

[٢]- التقية : لا تكون بالفعل وإنما بالقول وتكون محمودة لدفع الشر أو الخطر أو العذاب (شريط مسجل لمحاضرة ألقاها الشيخ أحمد بن حمد الخليلي بولاية الحمراء).

[٣]- يعني عبيد الله بن زياد .

[٤]- وسبب تسميتهم الحرورية محاورة علي ــ كرم الله وجهه ــ إياهم بحروراء: قيل هي قرية بظاهر الكوفة وقيل موضع على ميلين منها (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مصدرسابق، ص٤٨).

[٥] - (المائدة: ٤٤، ٤٥،٤٧).

بهـــا في الســـوق، فـــنالت رضي الله عنها شرف الشهادة وكان ذلك قبل عام ٦١هـــ في البصرة.

كـــأني بهـــا وقد ابتسمت للموت لحظة استشهادهاكأنـــها قادمة إلى مهـــرجان حافل في السماء يتلقاها بالحبور والبهجة، وفاحت من دمائها رائحة المســـك وهـــي تتـــناثر قطـــرات كحبات العقيق فيها من عبق الأبرار وعبير الصديقين، ووقف التاريخ يدون أروع مواقف العزة والشموخ ، وعندما مر بها أبـــو بلال في السوق عض على لحيته وقال: (لهذه أطيب نفساً بالموت منك يا مـــرداس، مـــا مـــن ميتة أموتـــها أحب إلي من ميتة البلجاء)، وروى العلامة الشماخي فقال: (فخرج أبو بلال في جنازتـــها، وقال لو أعلم أني أبعث على ما تبعث عليه لعلمت أني أبعث سوياً على صراط مستقيم)[1].

إنه ليحق للمرء أن يقف إجلالاً وإكباراً لمثل هذه المرأة، فقد أوتيت من ثبات الجنان وفصاحة اللسان وصدع بالحق في وجوه الطغاة الفاجرين، ما حق لهـــا أن يسطر اسمها بأحرف من نور، ولقد قامت بما يعجز عنه كثير من فحول الأبطـــال، والمـــتأمل لحوارها مع الطاغية عبيد الله بن زياد يلاحظ عليها رباطة جأشـــها ورغبتها في تحقيق أعظم الجهاد امتثالاً لقول الرسول ﷺ: ((**أفضل**

[1]- كتاب السير، مصدر سابق، ج١، ص٦١، وكتاب طبقات مشائخ المغرب، مصدر سابق، ج٢، ص٢١٥-٢١٦، العقود الفضية في إصول الإباضية، مصدر سابق، ص١١٠(بتصرف).

الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر))[1]،كان هدفها هو نيل وسام الشهادة، الشهادة التي ليس لها جزاء إلا الجنة وتحقق الهدف، وكان لها ذكر عند أهل السماء، ودون التاريخ موقفها في أروع صفحاته وظل ذكراها عند أهل الأرض، وكأنها صورة واحدة تتكرر فبالأمس القريب كانت أختها على درب الجهاد أم عمار سمية بنت خياط تفيض روحها إلى بارئها على يد فرعون هذه الأمة أبي جهل لعنه الله حينما طعنها بحربة في فرجها، وهذه وتلك سارتا على نهج الرعيل الأول نهج آسية زوج فرعون اللعين حينما باشر الإيمان شغاف قلبها؛ فضحت في سبيله بما يراه الناس جاهاً ونعيماً وسعادة؛ فما كان من فرعون حين آيس منها أن ترجع عن إسلامها وتتخلى عما آمنت به إلا أن نصب لها الأوتاد وأذاقها صنوف العذاب فما تراجعت لحظة عن إيمانها، وما شكت في سلامة معتقدها ، حتى لقيت الله ﷻ وهو راضٍ عنها، فكان لها الثواب الأكبر في الآخرة والثناء العظيم في الدنيا حين أثنى الله ﷻ في كتابه الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار وكفى بالله ذاكرا ، فما أشبه هذه بتلك، وما أشبه اليوم بالبارحة ، وهذا شأن الطواغيت والجبابرة في كل عصر، ولكن الصورة هنا أكثر قتامة وأشد قبحا ذلك أن الطاغوت هنا يلبس لبوس الإسلام وينصب نفسه حاكماً للمسلمين وفي نفس الوقت هو أكثر الناس

[1]- رواه ابن ماجة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتن ٢٠، الترمذي بيعة ٣٧، ابا داود ملاحم١٧.

انحرافاً وتضييعاً لتعاليم الإسلام ومبادئه العظيمة، وإنه لمما يثير الأسى في النفس أن يوصف أولئك الطغاة بأنهم خلفاء الله في أرضه، وبأن طاعتهم واجبة، وأنه لا يجوز الخروج عليهم، ويرمى كل من يدعو للخروج عليهم وجهادهم بشتى أنواع التهم، والله عند لسان كل قائل ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

عبيدة بنت أبي عبيدة

مسلم بن أبي كريمة

هذه المرأة وابنتها قبس من ذلك النور المضيء الإمام التابعي العظيم أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي[1] بالولاء رحمه الله وسيرته أعظم من أن نحيط بـــهـــا، كـــني الإمام أبو عبيدة بابنته عبيدة التي أخذت العلم عنه ، ولعل المثل السائر الذي يقول: (الولد سر أبيه)[2]ينطبق على هذه المرأة وابنتها جمانة . رُويت عن عبيدة وابنتها آثار في كتب الفقه الإباضي سواء فيما يتعلق بأخبار النساء أو غـــير ذلك[3]، فمثال ذلك ما رواه العلامة السالمي[4] في المعارج عن الأثر أن جمانة بـــنت عبيدة حدثت عن أمها عبيدة أنـــها كانت تقعد في ولادة بنيها الذكور

---

[1]- أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: أحد أكبر تلامذة الإمام جابر بن زيد وإمام أهل الدعوة من بعده، وله الفضل في انتشار المذهب الإباضي في مختلف البلاد الإسلامية (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مصدر سابق، ص١٠٤).

[2]- وكلمة الولد تشمل الذكر والأنثى .

[3]- العقود الفضية في أصول الإباضية، مصدر سابق، ص١٤٨ .

[4] - عبد الله بن حميد السالمي: ولد بالحوقين من أعمال الرستاق بعمان، وبـــها حفظ القرآن الكريم وظهر نبوغه في سن السابعة عشرة من عمره، وذلك لما أتاه الله من جودة الحفظ مع ذكاء نادر بالرغم من فقدان البصر ،واستقر بعد ذلك في القابل بعد أن تعلم مبادئ العلوم الإسلامية وأصول الفقه وغيرها، حيث تفرغ للتدريس والتأليف والفتوى، وكان له دور بارز في إحياء الإمامة في عمان وترك ثمانية وعشرين مؤلفا وتوفي هذا العالم الجليل في عام ١٣٣٢ هـــ، وقبره ببلدة تنوف بسفح الجبل الأخضر بعمان (أضواء على بعض أعلام عمان قديما وحديثا، عبدالله بن سالم الحارثي، روي عمان،بدون تاريخ، ص٧٨-٧٩).

خمسين يوما وفي ولادة بناها ثلاثة أشهر فقالت عبيدة: (فسألت والدي أبا عبيدة)، فقال: (ذلك جائز فاقعدي ثلاثة أشهر)[1] .

ومما روي عنها، ما حفظ عنها العلامة محمد بن محبوب عن جمانة أيضا أن والدتها عبيدة بنت أبي عبيدة نذرت إن قدم ابنها محمد لتعتكفن في كل جمعة في المسجد فلما رجع ابنها أرادت الوفاء بنذرها، فاستفتت أباها فأمرها أبوها أن تعتكف في مسجد الحي[2] .

[1]- معارج الآمال على مدارج الكمال، الشيخ عبد الله السالمي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط١٩٨٣،١ م ،ج٤، ص١٣٥ .

[2]- الجامع لابن جعفر، أبو جابر جعفر الأزكوي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط١، بدون تاريخ، ج٣، ص٥٥٧ .

سعيدة المهلبية

هذه المرأة العابدة المخبتة سيرتـــها دعوة إلى الله وشجاعة في نصرة الحق من أجل سطوع ضياء الاستقامة، كان موقفها النبيل مع طلاب العلم كفيل بأن يعرضها للتنكيل والعذاب والتمثيل والقتل، ولكن قلبـــها امتلأ بالخوف من الله فلم تعد تخاف سواه.

كـــانت سعيدة المهلبية زوج عبد الله بن الربيع، وكان زوجها عبد الله خـــال المهدي الملك العباسي ووزيراً عند أبي جعفر المنصور، وقد كان زوجها من المتعصبين والمتحمسين للدولة العباسية، لقد اقتنعت سعيدة بمبادئ وآراء أبي عـــبيدة مسلم بن أبي كريمة وأصحابـــه؛ فاعتنقت مذهبـــه بعدها اتجهت إلى تحصـــيل العلم ، وأخذت تنهل منه من خلال مجالس العلم التي يقيمها المشايخ سراً ، اتصفت سعيدة بدينها وصلاحها وأصبحت من أتباع أبي عبيدة، تألقت سعيدة حتى أصبحت داعية إلى مذهب أهل الدعوة، وأخذت تنشر مبادئهم على نســـاء أهل بيتها وعلى زميلاتـــها والجواري اللاتي يعشن في منـــزل زوجها الوزير، وتشير المصادر إلى أنه كان لزوج سعيدة ابن من غير سعيدة، وكان لهذا الابن جاريتان قد تسرى بـــهما، ولقد اقتنعت هاتان الجاريتان بأفكار ومبادئ أهـــل الدعـــوة فدخلتا في الإباضية[1]، ومن أهل بيت سعيدة ما يذكر أن جدة سعيدة أو عمتها ذهبت مع أبي عبيدة - إمام الإباضية في تلك الآونة - إلى الحج

[1]- تاريخ المغرب الكبير، مصدر سابق، ص١٦٤- ١٦٥ .

فلما فرغا من حجهما قالت له: (أريد المقام بمكة) قال لها: (الخروج أفضل)، لما رأى من بعد مكة عن أهلها الذين كانوا بالبصرة)[1]، وكان كثير من أنصار أبي عبيدة والشخصيات البارزة المنضمة إلى مذهب أهل الدعوة يبحث عنهم الحجاج والولاة الأمويون والعباسيون الظلمة ليقبضوا عليهم فيسجنوهم أو يقتلوهم، وبالنسبة للنساء كن يتعرضن للتعرية والتمثيل والقتل، وبالرغم من كل ذلك لم تتوقف سعيدة عن الدعوة بل رأت أن الدعوة لا تقتصر على أهل بيتها وبنات جنسها فقط بل تتعداه إلى مشاركة الرجل في الدعوة إلى كل فرد من أفراد الأمة.

فآزرت أبا عبيدة وصحبه، واتخذت سعيدة للإباضية سربا لهم في دارها يجتمعون فيه لتلقي الدروس، وللاستماع للخطب الوعظية والدينية التي كان يلقيها المشايخ والعلماء بصوت منخفض؛ حتى لا يسمعهم الجيران أو المارة فينكشف أمرهم[2].

وكان أحد أولاد ابن الربيع كما ذكرناه سابقا من غير سعيدة قد دعاه أصحاب أبي عبيدة وأثرت عليه جاريتاه الإباضيتان؛ فدخل المذهب ودخل مجالس أهل الدعوة، وعرف المشايخ ووجوههم ومنازلهم وأسماءهم، فأراد هذا الرجل أن يعتق الجاريتين ليتزوجهما، ولكن الجاريتين رفضتا الزواج به بعد

---

[1]- العقود الفضية في أصول الإباضية، مصدر سابق، ص١٤٢ .

[2]- نشأة الحركة الإباضية، مصدر سابق، ص١٠٦ (بتصرف) .

أن أعـــتقهن، فاشـــتد بـــه غضبـــه واستولى عليه هواه، فكتب إلى أبي جعفر المنصـــور بأسمـــاء المشائخ الإباضية ومجالسهم، وكتب بأن سعيدة يجتمع عندها الإباضـــية في سرداب لها في دارها، فلما علم أبو جعفر بذلك، أخبر وزيره عبد الله ابن الربيع -زوج سعيدة- بذلك، فقال له عبد الله: (إن ابني قد ذهب عقله وأصـــبح يهذي بما لا يعرف أو صار إلى ما ترى)، وقال لأبي جعفر: (أو مثل سعيدة يقال فيها هذا ؟؟)، ونصحه أبو جعفر أن يعالجه ببعض الأدوية ويحبسه فاســـتجاب عـــبد الله لذلك، و لم يسع عبد الله لما علم بما يقع في داره إلا هذه الحيـــلة، وتَبَالَهَ المنصور الداهية وتظاهر بتصديق دعواه. إن زوج سعيدة من آل الـــبيت وأنصاره الكبار فلا يجوز الانتقام من زوجته، ولو علم الناس أن سعيدة زوجـــة الوزير إباضية، وأن الإباضية يجتمعون في دار زوجها الوزير، لأدى إلى فضيحة ودلّ على ضعف الدولة العباسية، وعلى قوة الإباضية وانتشار نفوذهم فـــيميل إليهم الناس، ولو كان ما نسب لغير عبدالله ما نسب لكانت شرطة أبي جعفر وسيوفه أسرع إلى عنقه وعنق زوجته[1]، فهذه المرأة المجاهدة لم يمنعها ما قد تتعرض إليه المرأة من أصحاب أهل الدعوة في ذلك الوقت من التمثيل والتعرية والقـــتل، و لم تمـــنعها وزارة زوجها أن تؤدي دورها الواجب عليها، و لم يقف حجابهـــا وحياؤها حاجزا عن المشاركة مع الرجل في الدعوة فكان سردابـــها ببيتها ملاذاً ومخبأً لعلماء ومشايخ أهل الدعوة .

[1]- تاريخ المغرب الكبير، مصدر سابق، ص١٦٥-١٦٦ (بتصرف).

الفصل الثاني

(٢٠٠ هـ-٢٥٠ هـ)

❖نانا مارن

❖أم أبي ميمون الجيطالي

❖أم يحيى

❖أم زعرور

❖أم جلدين

❖ابنة أبي مسور يصلتين

❖أم الخطاب

❖بهلولة

❖ ابنة أبان وسيم وتكفا بنت أبي عثمان

❖منزو بنت أبي عثمان

❖زورغ الأرجانية

❖زوجة العالم المهدي

❖فتاة من " ندباس "

❖زوج محمد بن محبوب الرحيلي

نانامارن[1]

عاشت هذه المرأة في قرية "الجماري"[2] بليبيا، ودرست على يد كثير من العلماء الأعلام، واشتهرت بالعلم والصلاح والرأي السديد، ارتفعت بإيمانها وسلامة فطرتها وصدقها مع الله فوق زينة الدنيا وزخرفها، فكانت لا تأنس إلا بالله وحده ولا تصغي إلا لنداء العقيدة الخالصة، وقد كانت في صحوها ومنامها لا تتذوق جوارحها إلا حلاوة الإيمان ولذة الطاعة ونشوة العبادة، وتحتجب في مسجدها عن كل ما يشغلها عن الحق جل وعلا، ولا يزال مسجدها إلى اليوم مشرفاً فوق ربوة عالية يصارع الزمن ويطاول التاريخ .

عندما أراد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن رحمه الله أن يختار والياً على ليبيا، وقع الاختيار على أبي عبيدة الجناوني[3]، وعزز هذا الاختيار اتفاق المشايخ عليه، ولكن الشيخ أبا عبيدة تردد في الموافقة، وذهب لاستشارة هذه

---

[1]- نانا تعني الجدة، ومارن هو العَلَم، (الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الأول،الحلقة الثانية، ص٢٥٠) .

[2]- تقع على الضفة الغربية من وادي الزرقاء،وتجاور قرية "مَزُو" من الجمهورية الليبية (المصدر السابق،الحلقة الثانية،القسم الأول ،ص٩٢).

[3]- أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني: اشتهر بالعلم والورع تولى أمر جبل نفوسة فشمر-رحمه الله- لإحياء السيرة وعدل في الأحكام وكان يشاور في مهمات الأمور خيار المسلمين وأرباب العلم وله مسجد في قرية جناون يجتمع فيه سبعون عالما من أكابر علماء القرية وتوفي بعد ولاية ملؤها العدل والورع (الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الأول، الحلقة الثانية، القسم الأول، ص٨٩-١٠٨).

الجدة فقالت له: (إن تقدمت وأنت تعلم أنه يوجد من هو أكفأ منك فأنت في النار، وإن تأخرت وأنت تعلم أنه لا يوجد من هو أكفأ منك فأنت في النار) ففكر الشيخ في كلام الجدة نانا، وأخيراً رجع إلى المشايخ، وأعلن إليهم قبوله لذلك المنصب[1]، وكان لهذا الموقف الحازم من الجدة أثر في التاريخ لا يزال إلى اليوم يذكر بالفخر والاعتزاز، فهذه الجدة كانت واعية وعارفة بمجرى الأحداث والتيارات السياسية المعارضة، وكانت تسعى لتوجيه الأمة إلى الوجهة الصالحة .

[1]- الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الأول، الحلقة الثانية، القسم الثاني ص٢٥٠-٢٥١ .

أم أبي ميمون الجيطالي

كـــان بجيطال [1] امرأتان، ولكل واحدة منهما ابن صغير، فسألت كل واحدة منهما الأخرى: (ما ظنك بابنك وما ترين فيه؟) فقالت إحداهما: (أراه أن يكون عالماً)، وقالت الأخرى: (أراه أن يكون عابداً) فسألت كل واحدة منهما صاحبتها: (بماذا استدلت على ما قالت؟) فقالت أم العابد: (أرى ذلك لأني إذا كـــنت في الصـــلاة سكت وترك البكاء والتنعض[2]) وقالت الأخرى: (أرى ذلـــك لأني إذا شهدت مجلس الذكر والعلم سكن واطمأن قلبـــه لذلك ولم يتحرك وإذا كنت في غيره أكثر البكاء والقلق) فصدقت فراسة كل واحدة مـــنهما[3]، فكان العالم منهما هو أبا ميمون الجيطالي[4]، لقد كانت أم أبو ميمون حريصـــة عـــلى حضور مجالس العلم بالرغم من مشاغل الحياة الزوجية وتربية الأبـــناء، وتفرغت لتربية ابنها، وبذلت جهدها في تنشئته النشأة الإيمانية الحقة، فنشأ أبو ميمون محباً للعلم والدراسة، حريصاً عليها حتى حقق أمنية أمه، فصار بعدئذ عالم عصره يقصده العام والخاص لتلقي العلم على يديه، وبلغ درجة من

---

[1]- جيطال: مدينة فسيحة تقع بين "أمْسيسْن" و "إينَرْ " في جبل نفوسة بليبيا (المصدر السابق،ص ١٠٥) .

[2]- التنعض : يعني تحرك واضطرب (المنجد في اللغة، مصدر سابق،ص٨٢٢) .

[3]- طبقات المشائخ بالمغرب، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٩٥ .

[4]- أبو ميمون الجيطالي: هو من أهل جيطال من جبل نفوسة بليبيا وكان يعد من العلماء ومن الشيوخ الأفاضل واشتهر بالإيثار والبذل والسخاء (طبقات المشائخ بالمغرب، مصدر سابق،ج٢، ص٢٩٤).

العـــلم والحكمـــة والعبقرية جذبت إليه القلوب وحفته بـــهالة من الإعجاب، وأحاطته بحفاوة من التقدير ؛وهنا أيقنت أمه أن فراستها صدقت وأن بذرها التي تعاهدها تلك الليالي والأيام هاهي مورقة تؤتي أكلها الطيب وتنشر الخير والهدى فكانت المرأة الراضية الشاكرة .

أم يحيى زوج أبي ميمون الجيطالي

كانت حياتها الارتواء من مناهل العلوم والدين والاستغراق في عبادة الله ونشـــر النور الإلهي بين بنات جنسها، جمعت بين العلم والعمل وبين التحصيل والعـــبادة وبين العكوف على التأمل والأخذ بيد الحيارى إلى الطريق المستقيم ، إنهـــا أم يحيى العالمة الفاضلة والمربية القديرة، سكنت مدينة " أمسيسن "[1] بليبيا، درست على يد كثير من فحول العلماء منهم أبو ميمون الجيطالي[2]، تزوجت أم يحـــيى من أبي ميمون العالم الذي صدقت فيه فراسة أمه، فلما نـــزل من الجبل ونظرت إليه من القبة فوق الجبل استصغرت شأنه لما رأته أقصر تلامذته قامة ، فـــلما حلقوا عليه، وأقبل كل واحد منهم يسأل والشيخ يجيب، رأت حينئذ أن الشيخ أطولهم وأعظمهم، فما طلعوا إلى الجبل إلا وهو أعظم الناس في عينيها[3].

كانت معينة لزوجها على شدائد الحياة ومتطلباتها تقول: (وجدت على أبي ميمون أربعين ديناراً دينّا فقضاها الله عنه بعمل يدي).

وقـــد آتاهـــا الله ذاكـــرة حافظة واعية لا تكاد تسمع شيئاً إلا بقي في ذاكـــرتها ومـــن ذلك أنها سمعت وهي في طريقها للحج رجلاً ينشد قصيدة من

---

[1]- مدينة تقع بين "جيطال " و "تِـــمجَارَ " من الجمهورية الليبية (الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، القسم الثاني،الحلقة الثانية،ص٢٣٨).

[2]- سبق التعريف بـــه في شخصية أم أبي ميمون .

[3]- كتاب السير، مصدر سابق، ج١، ص١٩٨ .

ثمانين بيتا فحفظتها كلها[1]، وما ذلك إلا دلالة على قوة حفظها وعمق تركيزها، وكانت آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر لا تبالي في نصيحة المسلمين وقول الحق لا تخـــاف في الله لومة لائم ومن ذلك ما ذكر عنها أنها ذهبت يوماً إلى المسجد لحضـــور صلاة الجماعة، وكان المسجد مكتظاً بالمصلين، وعندما بدؤوا للصلاة انطـــلق صـــوتـــها (أم يحـــيى) يأمر الإمام بالتأخر لأنه ليس أهلاً لأن يصلي بالمســـلمين، واستجاب الإمام لصوت الحق فتأخر وتقدم من هو أولى، وتقضي الظـــروف أن تلتقي أم يحيى في مضيق من الطريق بـــهذا الرجل الذي آذته في الله، فتوجســـت في نفسها خيفة وخشيت أن تلقى منه بعض ما تكره ، ويحس الرجل ما في نفسها؛ فيقول لها: (امضي راشدة ، لولاك لهلكنا ، يسر الله لك سبل الجنة)[2].

اشتهرت أم يحيى بالعلم والفضل، وكانت ترى أن الفتاة لا تتم دراستها في مدارس مختلطة يدرس بـــها الطلبة الذكور؛ فأنشأت مدرسة خاصة للفتيات، وفـــتحت بـــها شبـــه ما يسمى اليوم بالأقسام الداخلية حتى يتسنى للبعيدات مـــنهن الإقامة في المدرسة، وسرعان ما اجتذبت الفتيات إلى مدرستها وعلمها وحكمـــتها كما تجتذب الرائحة الطيبة في الروض كرائم الطير، وكانت أم يحيى تقـــدم لهـــن الأكل، وتشرف على تعليمهن، فكانت كلماتها تخرج من قلبـــها

---

[1]- مسلمات صالحات في روضة الإيمان،مصدر سابق،ص٦٨.

[2]- الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الأول، الحلقة الثانية . القسم الثاني ص ٢٣٠(بتصرف) .

صادقة مبرورة تنتقل إلى القلوب وتسكن في الصدور، وتفعل فعلها في الجوارح، واهـتمت أم يحـيى شخصـيا بالإشراف على تربيتهن في بيئة إسلامية صالحة وتطمئن على فهمهن لواجباتهن الدينية والاجتماعية وأنه اكتمل لديهن مقومات المرأة الفاضلة[1]، فطوبى لهذه المرأة التي بذلت نفسها ومالها من أجل طالبات العلم والديـن، فمـا أجمله من موقف عندما أعلنت رأيا لحل مشكلة تعليم المرأة ثم نفذتـه، وهذا الرأي هو نفسه ما اقتبسه اليوم علماء النفس والتربية والتعليم في الوقت الراهن ،حين علموا أن الاختلاط في التعليم أحد أهم أسباب الفشل لدى الطلـبة والطالبات، و لم يعلموا أن ذلك كان رأي أم يحيى منذ عشرة قرون في قضية تعليم المرأة.

وإلى جانب ذلك لم تنس أم يحيى واجباتـها تجاه الحياة الزوجية فكانت نعـم الـزوجة والمـربية، وعندما خرج أبو ميمون للحرب شيّعته، وقالت له: (ادع الله أن يكتب سلامتك) قال: (ذلك عقد فرغ منه[2]، ولكن ادع الله أن يجعـلك زوجـة لي في الجنة) فلما استشهد بقيت بعده أم يحيى كهفاً للإسلام ومـأوى للأخيار، فكان يجتمع عندها العزابة في ليلة الجمعة يقضون ليلتهم في العبادة[3].

---

[1]- المصدر السابق، ص٢٣٩ .

[2] - يعني ذلك أمر فرغ منه .

[3]- كتاب السير،مصدر سابق،ج١ ص١٩٩ .

أم زعـــرور
زوج أبي محمد التغرميني

إذا نظـــرت إلى أي جـــانب مـــن جوانب حياة هذه المرأة تجده مشرقاً وضّـــاءً، طيب الذكر، وسيم الملامح، فهيا بنا نبحر في أعماق هذه الشخصية الفذة .

نشـــأت هـــذه الفتاة في "جيطال" بليبيا بين أسرة فقيرة ، وفي سنة من سنوات القحط والجفاف ارتحل أهلها إلى"أمسيـــين" بليبيا طلباً للمرعى، وهناك سمعـــت بمدرســـة أم يحـــيى فتاقت نفسها إلى العلم والتعلم فالتحقت بـــهذه المدرسة، تتلمذت هذه الفتاة على يد العالمة الجليلة أم يحيى، وأخذت هذه العالمة تشجعها على التبحر في فنون العلم والاستمرار في الدراسة ، ومما ساعدها على ذلك ما وهبـــها الله بـــه من ذكاء حاذق وفهم عميق فتفوقت على زميلاتها، وكـــانت إلى ذلـــك ذات جمال بارع ، وكان لنبوغها المبكر وذكائها اللماح موضع إعجاب وتقدير معلمتها أم يحيى .

هـــذه الفتاة شدت انتباه استاذتها أم يحيى فوصفتها إلى العالم الجليل أبي محمـــد[1]؛ فرغب العالم من أم يحيى أن تتيح له فرصة التعرف على هذه الفتاة التي قد تكون زوجة له إن شاء الله .

---

[1]- أبو محمد التغرميني: هو عالم جليل بلغ مرتبة شامخة من العلم والورع والاستقامة ، سكن تاغرمين وعاش عيشة العلماء الزاهدين لا يحفل بالدنيا ولا بما فيها من متع وكان كثيرا ما=

فأمـــرت أم يحـــيى أن تأتي هذه الفتاة لها بجرة ماء من صهريج[1] بجانب المدرسة ،فذهبت الفتاة إلى الصهريج تحمل جرتين أحدهما لها، والثانية لأستاذتها أم يحيى، فلما وصلت إلى الصهريج وجدت بجانبـــه أبا محمد، فأرسل إليها تحية الإســـلام وطـــلب منها أن تملأ له جرة كانت في يده، فردت السلام عليه و لم تضـــطرب بـــــهذا الطلب من رجل غريب واستمرت وكأن شيئا لم يحدث، فملأت جرة أستاذتها أولاً ثم ملأت جرتها ثم أخذت جرة الغريب، أعجب أبو محمـــد بـــــهذا الخلق وهذه الرزانة وهذا الثبات، وقال لها: (هل لله مزرعة يا جارية؟) فقالت: (نعم) فقال: (وهل لها من يحرثها؟) قالت: (نعم) قال: (وهل لـــه مـــن يحصد ذلك الحرث؟) قالت: (نعم) قال: (وهل له مخازن؟) قالت: (نعـــم) ثم أخـــذت تشـــرح له في فصاحة وبيان، فقالت: (المزرعة هي الدنيا والحراثون الناس والحاصد الموت والمخازن الجنة والنار).

وهكذا علم أبو محمد أن هذه الفتاة قد جمعت بين الجمال وكمال العقل والأدب والعلم والذكاء وهي صفات قلما تجتمع في شخص واحد، فخطبـــها أبو محمد من عمها، فلم يوافق أقارب الفتاة، ولكنها أخبرتهم إنها لن تتزوج إلا من يرضى عنه عمها، وكان عمها إلى جانبـــها ورضيت بأبي محمد زوجاً لها؛

=يراجع حسابـــه مع ربـــه ويحاسب نفسه فكان يقضي وقته بين مذاكرة العلماء وعبادة الله وزيارة الإخوان وإفاء حقوق الزوجية (الإباضية في موكب التاريخ،مصدر سابق،المجلد الأول،الحلقة الثانية،القسم الثاني،ص٢٤٦).

[1]- الصهريج : هو حوض يجتمع فيه الماء (لسان العرب،مصدر سابق،ج٢،ص٣١٢).

فتزوجها أبو محمد، وعاشت معه حياة مليئة بالسعادة والحب والتفاهم المشترك، وهكذا ظفر أبو محمد بزوجة محبة وزميلة عالمة ومربية قديرة، وكان من خلقهما أنهما ما نزلا عن فراشهما إلا وتحاللا[1]، حتى لا يبقى على أحدهما من حقوق الزوجية شيء.

وبعد فترة رزقهما الله ولداً أسموه زعروراً، وتفانت أم زعرور في تربية ولدها حتى أصبح رجلاً صالحا، وهكذا قضت أم زعرور حياتها مجاهدة بين العلم ورعاية زوجها وتربية أولادها حتى توفاها الله ، فهذه المرأة لم يعقها الفقر عن الدراسة ونيل أعلى مراتب العلم [2] .

[1]- تحاللا : تعني إذا سألته أن يجعلك في حل من قبله أي تصافيا، تسامحا(المنجد في اللغة، مصدر سابق، ص١٤٧) .

[2]- الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الأول، الحلقة الثانية، القسم الثاني ص٢٤٦-٢٤٨ (بتصرف).

أم جلدين

لا أدري لم كنيت بأم جلدين؟ هل لشدة جلدها وصبرها وهو أبرز معالم سيرتها وحياتها؟ أم أن لها فعلا ابناً يسمى بذلك؟ وعلى كل حال فهي امرأة صالحة نشأت في "يفرن"[1]، وتزوجت هناك من أحد أشياخ العلم وكان لهذا الشيخ بنات من غير أم جلدين وكن يؤذينها، فيأخذن الدقيق ويخلطن فيه تربة بيضاء ، ويأخذن اللبن ويسكبن الماء فيه، وكانت صابرة لا تضجر من تلك التصرفات فكانت تأخذ الدقيق فتجعله في آنية وتصب عليه الماء فترسب التربة وتأخذ الدقيق من فوق ، وكان ذلك دأبها حتى ضعفت واصفرت من إيذائهن لها، ولم تخبر أباهن بشي من ذلك ثم متن جميعاً فأراحها الله منهن، وبقيت بغير ولد واستحى أن يتزوج عليها، واستحيت منه أن يبقى بغير ولد ، فرغبت إلى ربها فأجيب دعاؤها فسمعت هاتفاً يبشرها ،فولدت أربعة ذكور متتابعين متعها الله بهم زماناً ثم ماتوا جميعاً فاحتسبتهم عند الله تعالى .

لقد كانت أم جلدين حليمة هادئة الطباع تعفو عمن أساء لها وتصفح عمن ظلمها ولا تضمر لإنسان شراً ولا تخفي بين جوانحها غدراً، بل إنها كانت تقابل الإساءة بالإحسان والتطاول عليها بالعفو والمغفرة، ومع كل هذه

---

[1]- يفرن:هذا الاسم يطلق الآن على قرى متعددة، مثل: "تقربست " و"ديسير" ويقال لها الشقارنه و"الظهره" وهي بإزاء قصر الحكومة وغيرها،وكل هذه القرى تقع في جبل نفوسة بالجماهيرية الليبية وهي عامرة بالإباضية (المصدر السابق،ص١١٣) (انظر الخريطة آخر الكتاب لتحديد موقعها).

الشـــمائل العطرة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن أبرز علامات هذه العابدة القانتة المخبتة كانت تتمثل في الصبر والرضا في أشد المحن زلزلة للنفس .

وكانت أم جلدين ذات مكانة ومنـــزلة لدى المشايخ، وتحرص في كل لقاء أن تستفيد منهم، وكانوا يزورونها.

ســـألتهم يومـــاً عن دواء للذنوب، فقال لها الزواغي: (حب المسلمين يخرج العبد من الذنوب كما تكشط الشاه من جلدها، وكما ينـــزع الشعر من الزيت) .

ولا عجب بعد ذلك أن يكون لها عند ربها المكانة العظمى بحيث يجيب دعاءها ويوفقها لطاعته فمن كراماتـــها أنـــها سألت ربـــها أن لا تموت حتى ترى أم زعرور وزيتون تغرمين[1]، وأن يصلي عليها أبو محمد إذا ماتت ، فكتب الله أن ارتحلت مع أهلها طلباً للمرعى والخضرة حتى بلغوا تغرمين، فمضت ابنتا ابـــنها إلى تغرمين يطحنان فصادفتا بيت أم زعرور، فأخذتا في الطحن والعجوز -أم زعرور- مشغولة بالعبادة، فقالتا فيما بينهما: (إن هذه العجوز مثل جدتنا) فســـمعتهما أم زعـــرور فسألتهما فأخبرتاها عن أم جلدين فخرجت أم زعرور إليها زائرة، والتقت المرأة الصالحة بالمرأة الصالحة وتواصتا بما فيه الخير، ثم قالت أم زعـــرور لأم جلدين: (ادعي الله) فقالت: (بل ادعي أنت، فإني استحيت

---

[1]- تسمى اليوم "الزنتـان " وهي مدينة تمتد أراضيها على الضفة الشرقية لوادي الآخرة بالجمهورية الليبية (المصدر السابق،ص٢١٢).

مـــن ربي، فقـــد سألته ثلاثا) تعني أن ترى أم زعرور وترى زيتون تغرمين وأن يصلي عليها أبو محمد، فدعت أم زعرور ورجعت إلى منزلها، فأخبرت أبا محمد -زوج أم زعـــرور- فذهب هو الآخر ليزور العجوز الصالحة أم جلدين، ولكنه وجدها قد توفيت فصلى عليها ورجع ينقل الخبر إلى صديقتها الوفية.

وهكذا تحققت دعوات أم جلدين، هذه القانتة العابدة التي كانت عابدة كأخلص ما تكون العبادة حتى أجاب الله دعاءها،وكانت متوهجة الوجدان حباً لله وشوقاً إليه كتألق الشهاب الساطع، عاشت حياتها على مائدة القرآن وعلومه وفي ذكر دائم لله في مصلاها الذي لا يزال معروفا إلى اليوم في يفرن[1].

[1]- كتاب السير، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٠، ٢٢١ (بتصرف).

ابنة أبي مسور يصلتين النفوسي الأدوناطي

نشـــأت هـــذه الفـــتاة النجيبة الذكية في كنف والدها أبي مسور[1] في " أدُونَـــاطْ "[2] بليبيا، وأخذت العلم عنه وعن غيره من العلماء حتى بلغت رتبة سامقة فيه ، وكانت قوية الحجة حاضرة البرهان. وفيما يلي نماذج من مواقفها مـــع أبيهـــا التي تشف عن ذكاء متقد وفهم عميق لمقاصد الشرع مع فصاحة اللسان وحلاوة المنطق :-

١- جـــاءت إلى أبيها يوما تسأله عن مسائل الحيض ، وتصف له بعض ما أصـــابـــها، فقال لها العالم الكبير: (ألا تستحين؟) فقالت: (أخشى إن استحيت منك اليوم أن يمقتني الله يوم القيامة) فألزمت أباها الحجة و لم يجد لها رداً وأجابـــها عن أسئلتها[3].

٢- تدلـــلت عـــلى أبيها يوما فغاظته فقال لها: (لأزوجنك بمن له عليك سبعون حقا) فأجابته بكياسة: (إذن أردهن إلى ثلاث: إن دعا أجبت،

- أبو مسور يصلتين النفوسي الأدوناطي : كان شيخاً عظيم القدر في الإسلام وعالماً عاملاً ورعاً حليماً ومن المخلصين في السر والعلن، وعمر حتى بلغ الغاية في السن والهرم (كتاب السير،مصدر سابق،ج١،ص١٩٦).

[2]- قرية تقع بين "تمجار" و "جيطال " في منتصف الجبل،متجهه إلى الغرب من ليبيا (المصدر السابق،ص٢٤٣).

[3]- الإباضية في موكب التاريخ،مصدر سابق،المجلد الأول، الحلقة الثانية،ص٢٤٣-٢٤٤.

وإن أمر امتثلت، وإن نـــهى اجتنبت).

٣- جلســـت ذات يوم إلى أبيها بعد أن فرغت من غسل ثيابـــها ونشرها، ونظـــر الأب إلى الثياب النظيفة البيضاء فقال: (تمنيت أن الله يطهر قلبي مـــثل هـــذه الـــثياب) فقالت: (أتمنى لو جعل الله تطهير قلبي إلى يدي فأغســـله مثل هذه الثياب وأبعثه إلى خالقه نظيفا) فقال الشيخ معجبا بابنته الذكية: (إنك أبلغ مني حتى في الأماني).

٤- قـــال أبو مسور يوماً: (المسلمون أفضل من أقوالهم) قالت: (أقوالهم أفضل لأن المسلمين يفنون وتبقى أقوالهم والعلم أفضل)[1].

هذه الفتاة لم يمنعها حياؤها من التفقه في دينها، وما أروعه من شرف أن تكون هذه الفتاة أبلغ من أبيها الشيخ العالم .

[1] -كتاب السير، مصدر سابق ،ج١،ص١٩٧.

أم الخطاب

زوج أبي يحيى الازدالي

كان أبو يحيى من العلماء العاملين، تزوج بعد أن تقدم به العمر من ابنة نصراني ،وسبب تزوجه بها أنه أراد جمع العنب، فأرسل إلى نصراني كان يقضي له حوائجه ليأكل العنب، فأتاه مع عياله وبناته وكن بدور الخدور، فأبصرهن الشيخ فقال: (أعندكم هذا الجمال؟) قال: (نعم، وإن جاز في دينك زوجتك واحدة منهن) قال: (نعم) قال: (اختر)، فاختار الشيخ أم الخطاب، فلما آوى إليها في الليل حدثها عن الإسلام وشرح لها قواعده وأصوله، وكانت كاملة العقل فشرح الله صدرها للإسلام[1].

أقبلت أم الخطاب بفطرتها النقية على دراسة الإسلام وأصوله، كما ازداد شغفها بتفسير القرآن وتفهم آياته، وساعدها على حفظ الآيات وفهمها واستيعاب أمور دينها ذكاء لماح ينير ذهنها وبصيرة صافية تستوعب كل ما تلقى فيها من رصيد المعرفة، فحفظت الزهراوين: سورة البقرة وآل عمران، فعرضتهما على زوجها الشيخ أبي يحيى فاستحسنها، فقال: هذه ليست بقراءة أهل الأرض[2]، ثم تعمقت في فهم أسرار الشرع ومقاصده حتى بلغت درجة عظيمة من العلم، وأصبحت مقصداً للعلماء الأعلام، وعندما تقدم بها العمر

---

[1]- كتاب السير، مصدر سابق،ج١،ص٢١٨.

[2]- المصدر السابق ص ٢١٩ .

شغلها الخوف من الله عن كل ما تحفل بـــه الدنيا من متع ومسرات، وما يخبئه القـــدر بـــين طياتـــه من فواجع وأحداث، فقد كانت تعيش بجسها بين الناس وبفكرها ووجدانـــها مع الملأ الأعلى فأحيت نفسها لله بذكره فإنما تحيا القلوب بذكـــر الله تعالى، قصرت نفسها في مصلاها الذي ما يزال في " تغرمين " بليبيا يطاول التاريخ واسمه " أغرم إيمان "[1]، وزارها يوما الشيخان أبو مرداس[2]، وأبو الحســـن الأبدلاني[3] بعد أن أصبحت عجوزاً ففرحت بزيارتـــهما، وذبحت لهما شـــاة لضـــيافتهما، وأخذت تناقشهما في مسائل العلم ومعاني العبادة، وهكذا قضـــت ذلـــك العمر المبارك في ذكر وطهر وصلة بالله دائمة، حتى اختارها الله بقربـــه[4].

---

[1]- أغرم إيمان (كلمة بربرية) تعني : قصر النفس في مجلس الذكر(الإباضية في موكب التاريخ،مصدر سابق،الجلد الأول،الحلقة الثانية،ص٢٤٦).

[2]- أبو مرداس مهاصر السدراتي : كان من العلماء الذين فهموا أسرار الشريعة ولزم الإمام عبد الوهاب مدة بقائه في ليبيا وكان يحاسبـــه حساب المؤمن الحريص على دماء المسلمين وأموالهم كان عالماً عاملاً مؤمناً وكان جواداً لا تأخذه في الله لومة لائم يؤثر الصدق والحق (طبقات المشائخ بالمغرب،مصدر سابق،ج٢،ص٢٩٢).

[3]- أبو الحسن الأبدلاني : من أهل العلم والجدل تعلم العلوم وعمل بموجبـــها وتحصن من الشيطان بزهد الدنيا ورفضها، وكان يملك غزارة في المعرفة كان شجاعاً من أبطال المعارك، اشتهر بإدحاضه لحجج المبطلين ومناظرة المعتزلة فيما يتعلق بأصول الفقه وعلم الحلال والحرام (الإباضية في موكب التاريخ،مصدر سابق،المجلد الأول،الحلقة الثانية،القسم الثاني،ص٣٣).

[4]- طبقات المشائخ بالمغرب، مصدر سابق،ج٢، ص١١٠- ١١١ (بتصرف).

بـهلولـــة

زوج أبان بن وسيم

كـــانت بهـــلولة امرأة صالحة عالمة، وكان أبو ذر أبان بن وسيم[1] مثلها عـــلماً وصلاحاً، فأعجب بـــها فخطبـــها إلى وليها، فلما عقد عليها نكاحها ذهب فرحاً مستبشراً إلى بيتها ورام إرخاء الستر عليها هنالك، فلما وصل بيتها استأذن عليها ففتحت الباب، فقالت: (من هذا؟) فقال: (أنا أبان قد زوجنيك وليـــك) قالت: (إن أتيت ببينة رضينا بك زوجاً وإلا فانصرف) ثم قالت له: (إنـــك وإن كنت أميناً لمحتاج إلى أمناء)، واضطر العالم الشيخ أبان أن يثبت دعواه بشهادة الشهود وإقرار الولي حتى رضيت بـــه بـــهلولة زوجا، وكانت لـــه نعـــم الزوجة وكان لها نعم الزوج، فما عرف أن زوجين تشابـــها خلقاً وعلماً وديناً كما تشابـــه هذان الزوجان.

وقد دلت الحادثة السابقة إنـــها أملك منه لزمام نفسها وأكبح لعاطفتها وأرسخ قدماً في الوقوف عند حدود الشرع وتطبيقه، فلما استخفه العزم بموافقة ـــولي عـــلى خطبته لها لم يجعل لشيء آخر حساب، أما هي فقد طبقت عليه

---

[1]- أبو ذر أبان بن وسيم النفوسي : كان من تلامذة أبي الخليل الدركلي وقال عنه : إنه يتعلم العلم لله وكان في حلقة أبي خليل مواظباً على الدراسة عاكفاً على القراءة والمطالعة حتى بلغ الغاية في العلم والورع والاجتهاد في العبادة وكان عاملاً للإمام أفلح بن عبدالوهاب على حيز طرابلس بليبيا (الإباضية في موكب التاريخ،مصدر سابق،المجلد الأول،الحلقة الثانية،القسم الأول، ص١١٢-١١٦).

أحكام الشريعة السمحة تطبيق العالمة المؤمنة التي تراعي الدقة والحق في الأحكام فلم تعتمد على معرفتها الشخصية لأبان فلم تستجب لثقتها بـــه، وإنما رجعت في تلك القضية إلى حكم الله[1].

[1]- الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الأول، الحلقة الثانية، ص٢٣٢- ٢٣٣ (بتصرف).

ابنة أبان بن وسيم النفوسي

وتكفا بنت أبي عثمان

ذكر أن ابنة لأبان جاءته زائرة فصب مطر غزير يمنع من الخروج، فقال لابنته: (بيتي الليلة عندنا) فقالت: (لم يأذن لي زوجي في المبيت وإنما أذن لي في الزيارة فقط) فظل المطر يهطل وأقبل الليل، فعلم الشيخ أبان أن الذي قالته ابنته هو الصواب، فقال لها: (إذن فسيري في حفظ الله وستره) ودعا لها، فمضت إلى زوجها ومنزله بعيد، فوصلت المنزل والمطر ما زال يهطل ، فجعل أهل البيت يتعجبون ويذكرون الله عز وجل ولطفه بعباده الصالحين وكيف أن الله تعالى حفظها بدعوة والدها وبطاعتها لزوجها[1].

وما أشبه هذه القصة بما حدث لـ (تكفا) بنت أبي عثمان[2] (باثمان) حين زفت إلى زوجها في ليلة مطيرة فخشيت الهلكة من كثرة المطر، وكان والدها باثمان معها، فقالت له: (يا والدي إني أخاف على ثيابي البلل، وأنت عالم حال العروس واحتياجها إلى الثياب الجديدة وما ينبغي لمثلها من النظافة

---

[1]- طبقات المشائخ بالمغرب،مصدر سابق، ج٢ ص٣٠٤ .

[2]- أبو عثمان المزاتي (باثمان) : من أهل الإيثار والسخاء سكن جبل نفوسة بليبيا، وكان من الزاهدين اشتهر باستجابة الدعاء اعطاه الله كرامات الأولياء يعد من كبار العلماء ومؤمن من أصدق المؤمنين وكان يسكن قرية " دجى " (كتاب السير، مصدر سابق،ج١،ص١٧٧).

والـــنقاء، فما الحيلة ؟) قيل فدعا الله أن يحوطها ويسترها فحفظها الله سبحانه وتعالى[1] .

[1]- كتاب السير،مصدر سابق، ج١، ص١٧٩ .

منـزو بنت أبي عثمان المزاتي

تعالوا بنا نصحب هذه المرأة العاملة الزاهدة ساعة نتأمل سيرتها في روعة صبرها وتقواها وتحملها لمشاق الحياة الزوجية، والصبر على الزوج الفظ الغليظ القـلب، لـتكون المـثل والقدوة والنموذج لكل امرأة صالحة ترجو ثواب الله ورضوانه .

إنها منـزو بنت أبي عثمان المزاتي أخت تكفا، زوجها أبوها رجلاً من قومـه فركب على جمل له ومضى حتى مر بنساء على ماء، فقال: (إن كانت مـنـزو فيكن فإني لا آذن لها في المقام بعدي) وكانت فيهن فقامت فأخذت رداءهـا فارتدته، وسارت في إثر بعلها حافية راجلة فمشت حتى رقت قدمها وآذاها المشي، فصارت إذا رفعت قدماً إذا الدم في موضع القدم إلى أن ينـزلا، فـإذا نـزلا قامت فابتدرته بردائها فوسدته، ثم عالجت طعاماً لعشائه، ثم تقوم تصلي بقية الليل إلى أن يطلع الفجر، فكان ذلك حاله وحالها حتى وصلا وطنه، فبنى لها بيتاً بعيداً عن الناس، وكان يسئ إليها وهي تحسن إليه، ثم تزوج عليها مـرأة أخرى فلاقت المزيد من سوء العشرة وهي تزيد من الإحسان والصبر، ومـرت بـهـا قافـلة ذات يـوم، وسمعوها تنشد شعراً بالبربرية ما معناه: (ألا أحد من يزورني في الله فيذهب غم النفوس ويزيل الوحشة) فلما وصلوا وطن منـزو تذاكروا كلامها، فسمعه بعض المشايخ فذهبوا لزيارتها، ووجدوها في حالـة يرثى لها خارج خيمتها؛ فقال لها أحد المشايخ: (إني لأختار أن أجد

جنازتك خارجاً ولا أراك على هذا الحال) ومكثوا عندها ثلاثة أيام، وقبل أن ينصـــرفوا نصحوها بالصبر والتحمل والإحسان ودعوا الله ﷻ لها بالفرج، فما مضت أيام قليلة إلا ومات زوجها ففرجّ الله عنها ما تجده من التعب والعناء[1] .

[1]- كتاب السير،مصدر سابق،ج١، ص١٧٩ وطبقات المشايخ بالمغرب،مصدر سابق، ج٢، ص٣١٠- ٣١٢ (بتصرف).

زورغ الأرجانية

نشأت هذه الفاضلة في زمن كثر فيه أهل العلم والصلاح في جبل نفوسة في قـــرية " أرْجَاجَن " بليبيا ، فليس بغريب أن تشملها نفحات أولئك الأبرار، وأن تتشبـــه بأولئك الصالحين فكانت شديدة الورع، كثيرة العبادة، قريبة من فعل كل ما أمر الله بـــه، بعيدة عن كل ما نهى الله عنه ، ضربت أروع المثل في اجـــتهاد المرأة الصالحة للسعي لتنال رضى الله، و لم يكن زوجها من تلك الفئة الـــتي لا تقدر الأعمال أو يتلقى ذلك الاجتهاد ببرود وفتور، بل كانت تأخذه الأريحية وهو يراها ذاهبة راجعة في طاعته، فكان دائما ما يدعو لها بالجنة وأي دعـــوة خـــير مـــن تلك، وكان لزوجها امرأة أخرى، ومن مواقفها الرائعة مع زوجها أن أختا له مرضت ، فأراد الزوج الرحيل إلى الربيع طلباً للمرعى، وما أمكـــنه أن يقول لإحدى زوجتيه اقعدي لتمرضي أختي وأرتحل أنا بالأخرى، ولكـــنه ارتجـــى الخير عند زورغ، فقال لها: (لي عندك حاجة) قالت: (كل حاجـــة لك مقضية إلا تركي تمريض أختك فلا أرتحل وأتركها) فقال: (تلك أعظم حاجتي ورزقك الله تعالى الأجر والجنة) وظلت تخدم أخت زوجها حتى ماتت هذه الأخت، لقد نالت بـــهذا الموقف الرائع الأجر العظيم فقد أطاعت زوجها وساعدت أخته في محنتها .

لم تكن زورغ مثالاً للنساء الصالحات في طاعة الزوج فحسب بل قدوة أيضـــاً في مساندة زوجها في أمور دينه ودنياه، فكانت نعم المعينة له في ذلك،

فكـــانت تعين زوجها على العدل بينها وبين ضرتـــها أخذاً بالحديث النبوي: ((**وأحـــب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما**))[1]، فعندما أعجب زوجها بـــنوع مـــن الطيب اختاره لزورغ، وأتى بـــه إليها ذكرته بالعدل بين نسائه وأبت أن تستأثر بـــه.

كـــانت هـــذه المـــرأة الورعة ساعية في توفير الراحة الجسدية والنفسية لـــزوجها ليس فقط في البيت وإنما تعداه إلى خارجه، فعندما أراد زوجها نقل شـــيء من التراب أخبر زوجته زورغ بالمشقة والتعب الذي سيلاقيه إزاء ذلك ففاجأته حين قالت له: (قد نقلته بالبقرة) فما كان من زوجها إلا أن دعا الله لهـــا بـــأن يرزقها الجنة، وهل يريد الإنسان بعد هذه الدنيا الفانية إلا رضى الله ودخول الجنة، فما أروعه من موقف وما أفضله من دعاء.

وكانت زورغ تسعى جاهدة إلى طلب العلم وإتقانه برغم ما تعاني من صعوبات، فقد زارها العلامة أبان بن وسيم مرة وأخذ يلقنها القرآن الكريم، ولم تطـــق تقـــويم لســـانها، فرخص لها بعد أن تحيرت في تقويم لسانها أثناء قراءة القرآن[2].

وكـــان لهذه المرأة الصالحة التقية الورعة كرامات عديدة ذكرها العلامة الشـــماخي في سيره، ونحن وإن كنا نؤمن بالكرامات ونعتقد بأنها فضل يختص

---

[1]- رواة الترمذي وابن ماجه وأحمد.

[2] - كتاب السير،مصدر سابق،ج١،ص٢٠٤- ٢٠٥ (بتصرف).

الله ﷻ بـــه بعض عباده ، فإننا برغم ذلك لا نعول عليها كثيراً ، وكل نعم الله ﷻ هي محض فضل لعباده بلا استحقاق منهم لذلك، وأعظم كرامة هي أن يعيش الإنسان على الاستقامة ويرزق حسن الخاتمة .

زوج مهدي الويغري

مـــا أعظمه من موقف وقفته هذه المرأة الصالحة مع زوجها العالم الورع الزاهد، لقد تركت زخارف الدنيا ومباهجها من أجل أن تتزوج بـــهذا الرجل الصالح الذي يعينها علىأمور دينها ودنياها، فما أجدر فتيات عصرنا أن يقتدين بـــها في اختيار الزوج الصالح .

لقـــد عـــلمت هذه المرأة الورعة أن المال لا يخلق السعادة الزوجية فلم يغرها الزوج الطالح الممتلئ بالكنوز والأموال، فإنه إذا وجدت سعادة فستكون زائفـــة زائـــلة ، وإن الإســـلام كان ولا يزال يحلّق بالزوجين إلى سعادة الدنيا والآخـــرة، فهيا بنا نستشف من مواقف هذه المرأة ما يعطينا النموذج الأمثل لكل فتاة في اختيار الزوج .

خطب العالم مهدي الويغري[1] امرأة بجبل نفوسة، فاستشارت هذه المرأة في أمره شيخاً من المشايخ، فقال لها: (إن مهدياً رجل له رغبةً في الآخرة، وزهد في الدنيـــا واجتهاد في الصلاح، وله أرض محثوث[2] لها سدود فانهدمت سدودها

---

[1]- مهدي الويغري النفوسي: كان من أهل الجدل في الحق ومقدم في علم البرهان والاستدلال وكّل إليه العلماء مهمة مناظرة المعتزلة واشتهر بإدحاضه لحجج الملحدين اشترك مع الإمام عبد الوهاب في الحرب ضد حكم الأغالبة الفسقة وقتلوه على ساحل البحر وهو يناجي ربـــه رحمه الله سنة ١٩٦هـــ (السير للشماخي،مصدر سابق، ج١،ص١٤٨).

[2]- محثوث تعني أرض ذات رمل غليظ يابس خشن. (لسان العرب،مصدر سابق،ج٢،ص١٣٠).

وخـــربت جسورها، وأراد أن يصلحها، وأراد أن يتزوجك فلا تصلح جسوره إلا بتراب تنقليه على رأسك) فزادها ذلك رغبة فيه وفي ضلاحه .

وتـــزوجها مهدي، وبعد سنين زارها الشيخ فلم يجدها في بيتها، فأعلم بمكانهـــا فوجدها في الحرث مع مهدي وهي تنقل التراب على رأسها لإصلاح الجسور، فذكرها الشيخ فيما أعلمها من قبل بـــه، فحمدت الله على ما أعطاها من خدمة ولي من أوليائه[1]، لقد ضربت هذه المرأة النموذج للمرأة المؤمنة ليس فقط في اختيار الزوج الصالح وإنما أيضا في بذل الجهد والغالي والنفيس من أجل خدمة الزوج وتحقيق الراحة له .

[1]- طبقات المشائخ بالمغرب،مصدر سابق، ج١ ، ص٦٥ .

فتـــــاة من ندباس

عندما ارتحل أبو معبد الجناوني إلى تيجي[1] في ليبيا، والتحق بمدرسة سعيد بـــن أبي يونـــس الطمزيني، درس هناك حتى ظن أنه نال غايته من العلم، وقفل راجعـــا إلى مدينـــته "أجنَّاوَن "[2]، فمر في طريقه بقرية " ندباس "[3]، فوجد أمة تسقي الماء من صهريج خارج القرية، وكان قد بلغ منه الجهد والعطش ما بلغ، فاتجـــه إليهـــا وطلب منها أن تسقيه، وبدلا من أن تسارع الأمة إلى إرواء هذا العطشـــان، نظـــرت إليـــه في استنكار، وقالت له: (أتستخدم أموال الناس يا جاهل؟)[4]، لقد صدعه الجواب العنيف ولقنته الأمة درسا، أبعد كفاحه الطويل في طلب العلم تعيره أمة بالجهل، ورجع إلى نفسه يسائلها بأي حق يستخدم أمة

---

[1]- تقع إلى شمال كباو بحوالي خمسة عشر ميلاً،وكانت تسمى في الماضي "قنطرارة"،ولقد كانت جنة في الأرض وذات مياة غزيرة،هجم عليها الوحش البشري إبراهيم بن الأغلب وقتل أهلها وأحرق حدائقها ، والآن يوجد بـــها بعض العيون وعدد ضئيل من النخيل (الإباضية في موكب التاريخ،مصدر سابق،المجلد الأول، القسم الأول، الحلقة الثانية،ص١٩٧-١٨٠).

[2]- مدينة غناء تستلقي على أقدام جبل أشم تضم القرى التالية نموقت في وسط الجبل القصير ــ على جنب الجبل الأيمن ــ مزو ويوجلين ــ على كتفي الجبل وتقابلهما الجماري ومزغورة (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية،مصدر سابق،ص١٣٥).

[3] - قرية تقع على الضفة الغربية لوادي الزرقاء تقابلها "مزو" على الضفة الشرقية من الوادي من الجمهورية الليبية (الإباضية في موكب االتاريخ،مصدر سابق،المجلد الأول، القسم الأول، الحلقة الثانية، ص٢٣١-٢٣٢).

[4]- الاستخدام هو السؤال لطلب الخدمة وفي معنى اتخذه خادماً (المنجد في اللغة،مصدر سابق،ص١٧١).

الغـــير، وعـــرف حينئذ أنه ما أوتي من العلم إلا قليلا، ورجع إلى نفسه وتاب، وعرف أن دراسته كانت نظرية بحتة وإنه في حاجة إلى المزيد، ورجع إلى المعهد الـــذي كان يدرس بـــه، فأقام فيه وأطال الإقامة حتى أصبح عالما بين العلماء ومرجعا، وأصبح ذلك العالم العامل الذي يقوم مقام أمة[1]، إنه بفضل المرأة التي تعـــرف حـــدود الدين ومنتهى الحقوق، وكيف أن الإماء في ذلك العصر بلغن درجـــة مـــن العـــلم فحـــق لهذا الموقف أن يسجله التاريخ في أروع صفحاته ويستخلص منه العبرة والفائدة .

[1]- كتاب السير، مصدر سابق،ج١،ص٢٠٦ .

زوج محمد بن محبوب الرحيلي

هذه زهرة نبتت في دوحة الإيمان والتقى، وسقيت بماء الفضيلة والهدى، وانتقلت من روضة شيخ المسلمين حيث نمت وترعرعت إلى روضة أخرى حيث تفتحت وأثمرت، ونحن لو أردنا أن نصف الورع في أروع صوره، والصبر في أنصع معانيه ، والتضحية في أعلى مواقفها لقلنا إنها تتمثل في هذه الصورة الطاهرة، لم تدرس في جامعة فلم تكن في أيامها جامعات ،ولكن تولاها في طفولتها بحر العلوم الزاخر شيخ المسلمين موسى بن علي الأزكوي ورعاها في شبابها شيخ التقى والإخلاص العلامة محمد بن محبوب الرحيلي ، كانت هذه الدرة المكنونة تتحرى الحلال في المأكل والمشرب والملبس، سيدة كان لها من نبل القلب وكبر العقل وثبات الجنان ما لم يكن مثله إلا في القليل من عظماء النساء، صبرت وتحملت البعد عن الوالدين و الإخوان والأهل من أجل زوجها وأولادها حتى مّن الله عليها بزيارة والدها لها بعد عشر سنين من الفراق ، فما هي قصة زواج هذه المرأة الطاهرة؟.

يروى أن الإمام محمد بن محبوب الرحيلي[1] الصحاري، زار الإمام موسى بن علي العزري في إزكي[1] بعمان ، وكانا قطبي زمانهما، فخطب الإمام

[1]- محمد بن محبوب الرحيلي القرشي المخزومي من أشهر العلماء في زمانه وشيخ المسلمين ومرجعهم في الرأي والفتوى ، وكان مضرب المثل في العلم والزهد والتقوى ، وقد نشأ فيما يبدو أيام الإمام غسان بن عبدالله الذي بويع سنة اثنين وتسعين ومائة، وعاصر الإمام المهنا بن جيفر، ثم تألق نجمه أيام الإمام الصلت بن مالك حيث كان على رأس العلماء المبايعين لهذا الإمام،=

محمـــد بن محبوب إحدى بنات الإمام موسى، وكان عنده ثلاث بنات وعندهن مربية مملوكة، فقال الشيخ موسى[2] للمربية: (اختاري لضيفنا العزيز واحدة من هذه البنات)، فأعطت المربية كل واحدة منهن -على انفراد- شيئاً يؤكل و لم تقل لها شيئا، وفي اليوم الثاني جاءت إلى الكبرى، وسألتها عما أعطتها، فقالت: (أكلته)، والوسطى كذلك، أما الصغرى قالت: (ها هو)، قالت لها المربية: (لأي شـــيء لم تأكـــليه ؟)، قالت الصغرى: (ما قلت لي كليه بل أعطيتني ومضـــيت، ولا أدري لمـــاذا العطاء، وما كنت لآكل شيئا لا أعرفه) ، فقالت الخادمـــة حينـــئذ لســـيدها الشيخ موسى: (ابنتك الصغرى تصلح للضيف)؛ فـــزوجه إياها، وسافر بـــها الشيخ الرحيلي إلى صحار[3]، ومضت مدة طويلة

=وقلده الإمام الصلت القضاء على صحار وتوابعها (إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان،الشيخ سيف بن حمود البطاشي،طبع خدمات الإعلان السريع، مسقط عمان، ط١٩٩٢،١م، ج١،ص١٩١) .

[1]- هي إحدى ولايات المنطقة الداخلية بعمان،وبـــها ٢٦ قرية (مجلة مسيرة الخير "المنطقة الداخلية"، وزارة الإعلام بسلطنة عمان ١٩٩٦م ،ص٧٢).

[2]- موسى بن علي الأزكوي : كان من أجل علماء زمانه، نشأ في إزكي تعلم العلم على يد المشايخ العلماء في عصره تبحر في العلم وفاق أقرانه وهو في سن مبكر ، وكان الأئمة والعلماء يرجعون إلى رأيه فهو شيخ المسلمين في زمانه وصاحب الحل والعقد،عاصر الإمامين عبد الملك بن حميد والمهنا بن جيفر ، ولقد توفي رحمه الله في ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين للهجرة (نـــزهة المتأملين في معالم الأزكويين،يحي بن محمد البـــهلاني،ط١٩٩٣،١م ، ص٧٤).

[3]- تقع بين ولايتي لوى من الجهة الشمالية وصحم من الجنوب، تتخذ موقعها إلى الغرب من خليج عمان وإلى الشرق من ولاية البريمي التابعة لمنطقة الظاهرة ، يوجد سكانها في حوالي=

فاشـــتاقت أمها إليها، فقالت لأبيها: (أما أن أسير لزيارتـــها أو تسير أنت)، قـــال: (بل أنا أسير) فسار إلى صحار، وكان لا يعرف منـــزل الشيخ محمد الرحيـــلي، فبيـــنما هو يمشي في بعض الطرق وجد صبيين يتحاوران على عود شـــوك سقط في الطريق، فقال أحدهما: (إن هذا الشوك سقط من هذا الجدار وهذا أثر موضعه من الجدار فينبغي أن نرده فيه)، وقال الآخر: (بل ألقته الريح في الطـــريق ويحـــتاج أن نخرجه إلى مكان آخر) فوقف عندهما، وسألهما فقال لهمـــا: (إني أشـــم عليكما رائحة آل الرحيل، فأولاد من أنتما؟) قالا: (نحن أولاد محمـــد بن محبوب الرحيلي) قال: (ومن أمكما؟) قالا: (ابنة موسى بن علي)، فاحتضنهما وسار معهما إلى البيت، فأخبرا أمهما بمجيء جدهما، فقالت لهما: (قولا له أن يجلس في المسجد أو تحت سدرة هناك لأن صاحب المنـــزل غـــير حاضـــر)، فـــرجع الشيخ محمد قبيل الظهر، فوجد صهره خارج البيت فـــتعانقا، وغضب على زوجه حيث لم تدخل أباها، قالت: (ما أمرتني بذلك) قال: (أفأنا أعلم الغيب أنه سيأتي هذا اليوم؟) فاعتذرت إلى أبيها لهذا السبب، فقال الشيخ موسى: (أصبت، لو أدخلتني و لم يكن عندكِ سابق إذن، لما رضيت عليك) وأيد ابنته على موقفها وإنـــها على حق ولا لوم عليها[1] .

=١٠٠ قرية ، اشتهرت بعدة أسماء مختلفة في التأريخ أحدها "مجان" والأخرى "مزون " ، كانت عاصمة عمان وقت دخولها في الإسلام وحتى نقل العاصمة إلى نزوى (مسيرة الخير "منطقة الباطنة "،إصدار وزارة الإعلام،١٩٩٥م ،ص٢٠-٢١).

[1] - إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، مصدر سابق، ج١، ص١٩١ - ١٩٢ .

الفصل الثالث

(٢٥٠ هـ - ٣٥٠ هـ)

- أخت أبي حفص عمروس المساكني
- الزهراء السقطرية
- الغاية
- غزال

أخت أبي حفص عمروس المساكني

هكذا عرف لنا التاريخ شخصية هذه المرأة بأنها أخت عمروس أما عن اسمهـــا فـــلم تسعفنا المصادر التاريخية الباقية من التعرف عليه، فإذن هي أخت العلامة أبي حفص عمروس المساكني[1] أحد فطاحل العلماء العاملين، كانت نجيبة ذكيـــة تتمتع بثقافة واسعة وغزارة علمية، ومن حق تاريخها المضيء بنور العلم والمعطر بعبير التقوى أن نقف عندها وقفة نتأمل مدارجها في العلم ومعارجها في الفهم، كان أخوها يستورد نفائس الكتب من كل مكان، ويظل يدرسها دراسة المتعمق الفاهم، وعندما يحس بالتعب أو السأم كانت هي التي تتولى عنه القراءة والكتابة أو النقاش، وكم شهد بناء ذلك المنـــزل العامر من نقاش واع لمسائل العـــلم يدور بين ابنة فتح وأخيها ، بين هذه الصبية الحسناء الذكية المثقفة التي تمـــثل المـــرأة المسلمة الواعية وبين أخيها الذي كان حجة في العلم، وقد يطول الـــنقاش بـــين الأخوين العالمين حتى تقتنع بصحة رأيه فتسلم، أو يقتنع بوجاهة نظـــرتها فيرجع إليها، وعندئذ يستمران في الدراسة، وهكذا كانت هذه الفتاة

---

[1]- أبو حفص عمروس بن فتح المساكني: هو أحد علماء نفوسة بليبيا ، تعلم العلم حتى أصبح عالما من العلماء المجتهدين، وتصدى بغزارة علمه مع مهدي النفوسي لارآء نفاث المخالفة، تولى القضاء لوالي الإمام عبد الوهاب، نسبت إليه عدة مؤلفات منها كتاب " الدينونة الصافية "، رحل إلى مكة وبـــها التقى بمحمد بن محبوب عالم عمان آنذاك فاستفاد كل منهما من تجربة الآخر، قتله الأغالبة عندما انتصروا على الإباضية في موقعة مانو، فمات رضي الله عنه شهيداً حميداً عام ٢٣٨هـــ (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مصدر سابق،ص١٠٩) .

الذكيـــة مرافقة لأخيها في دراسته تستمع إليه، وتأخذ عنه حتى بلغت مبلغاً من العـــلم قل أن تصل إليه فتاة ، وعندما كان يقوم أخوها أبو حفص بالدراسة أو بالـــتأليف كانت تقدم له مادة التأليف، وتلخص له مواضيع البحث، وتعد له مناهج الدراسة، وتساعده في الكتابة، فتملي عليه، أو تتلقى منه الإملاء فتكتب، وهكذا وجد منها منسقة ذكية بارعة[1] .

ومر ذات يوم العالم المحدث الفقيه بشر بن غانم الخراساني " بقطرس"[2] البلد التي يسكنها عمروس وأخته يحمل معه مدونته[3]. واستقبله عمروس استقبال الأخ المسلم لأخيه المسلم ، وعندما أراد الرحيل ترك المدونة وديعة عند القاضي الأمين عمروس حتى يعود .. لم يخطر للقاضي أن يستأذن المؤلف في استنساخها حـــين ذاك، ولكنه فكر في نفسه ، ورأى أنه إذا لم يغتنم هذه الفرصة فإن هذه الثروة العلمية سوف تفلت من يديه، واستعد للعمل، أحضرت له أخته كل ما يحـــتاج إليه من ورق وقلم ومداد ، وكانت تملي عليه وهو يكتب في فناء الدار

---

[1] – الإباضية في موكب التاريخ،مصدر سابق، المجلد الأول،الحلقة الثانية، القسم الأول، ص١٣٧ بتصرف).

[2] – قرية تقع على ضفة وادي تالة العميق من أرض الرحيبات بالجمهورية الليبية (المصدر السابق،ص١٣٨).

[3] – كتاب المدونة يقع في اثني عشر جزء يحتوي على كثير من الأحاديث المسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما أنه مشحون بفتاوى أقطاب العلم والعمل كجابر وأبي عبيدة والربيع وغيرهم، ولقد عثر على أحد عشر جزءاً من الكتاب الذي نسخه عمروس ولم يعثر على الجزء الذي كان عن الحج ومناسكه (كتاب السير، مصدر سابق،ج٢،ص١٩٤).

حـــتى إذا وصلتهما الشمس تحولا إلى الظل، و لم يمض عليهما وقت طويل حتى أتمـــا نسخها ، ورجع صاحب الوديعة " بشر بن غانم " يطلب وديعته فأرجعها إليـــه عمروس ، ولكن بشراً كان يتوقع هذا العمل من عمروس، ولذلك عندما تصـــفحها ظهرت له آثار النقل في قطرات المداد واستعمال الصحائف، فقـــال -لعمـــروس وهو يبتسم-: (لقد سرقتها) فأجاب القاضي -وهو جذلان-: (سمـــني سارق العلم) وفي إثر هذا كان ما كان من تلف المدونة في تيهرت[1] غصبا وحرقا، ولولا حرص عمروس وأخته على نسخ هذه المدونة لم يبق لأهل المذهب بجهات المغرب ديوان يعتمدون عليه[2].

والعـــلم يكـــون فائدته بقدر ما يفيد صاحبـــه، فليس العلم النافع هو شـــحن الدمـــاغ بالمعلومات بدون أن يكون لها أثر في حياة الإنسان، بل العلم الـــنافع هـــو الذي يجد فيه حلاً لمشكلاته ونفعاً في دنياه وآخرته، فعندما ذهب عمروس إلى الجهاد وكانت وقعة " مانو "[3] رافقته أخته إليها، واستشهد أخوها،

---

[1] - مدينة تقع في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر)،بناها الإمام عبد الرحمان بن رستم وأتباعه لتكون مقراً لهم ، وانتهوا من ذلك في عام ١٦١هـــ،وأصبحت عاصمة للدولة الرستمية ،حتى أحرقها الفاطميون واستولوا عليها عام ٢٩٧ هـــ (نشأة الحركة الإباضية،مصدر سابق،ص١٤ وص١٦٦-١٦٨).

[2] - طبقات المشائخ بالمغرب ،مصدر سابق، ج٢ ،ص٣٢٣ .

[3] - مانو موقع بين شط الفجاج وخليج السرت الصغير،جنوب قابس ، وأما عن وقعة مانو فقد قام إبراهيم الثاني الأغلبي (٨٩٦/٢٨٣) بمهاجمة الإباضية ، حتى أنه لم يبق فيها من علماء=

وقـــتل أكثر الجيش، أخذت أسيرة مع بعض زميلاتـــها فخافت الفساد؛ فقالت لزميلاتـــها: (أما وقد وقعنا أسيرات ولا قدرة لنا على الخلاص من أيدي هؤلاء الوحـــوش فلتســـتخلف كل واحدة منكن من يزوجها بمن يريد بـــها سوءاً)، وهكذا حتى في أسوء الأحوال ينجدها العلم والدين [1] .

فهـــذه المرأة العاملة سيظل التاريخ يذكرها، ولن ينسى فضلها في حفظ مدونة العالم الجليل بشر الخراساني.

=الإباضية إلا اثنين بعد أن كانوا أربعمائة (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية،مصدر سابق، ص٥٨).

[1] -كتاب السير، مصدر سابق، ج١، ص١٩٤، ١٩٦.

الزهراء السقطرية

هي فاطمة بنت حمد بن خلفان بن حميد الجهضمية، ولقبها الزهراء، نشأت في سمد الشأن[1]، ذهبت مرة مع والدها لزيارة نسيبهم الوالي القاسم ابن محمد الجهضمي السمدي[2] في جزيرة سقطرى[3]، يوم كانت تابعة لعمان وذلك في زمن الإمام العادل الصلت بن مالك الخروصي[4] رحمه الله، وحدث أن نكث النصارى[5] وخانوا العهود في هذه الجزيرة، فقتلوا واليها القاسم بن محمد وسلبوا ونهبوا وأخذوا الجزيرة قهرا.

---

[1]- إحدى قرى ولاية المضيبي بالمنطقة الشرقية من سلطنة عمان، ويوجد بها حصنا الخبيب وحزام (مسيرة الخير "المنطقة الشرقية "، مصدر سابق،١٩٩٥م ،ص٦٨).

[2]- الزمرد الفائق في الأدب الرائق،الشيخ محمد بن راشد الخصيبي،ج٤ ، ١٩٩١م ،ص٢٥٢.

[3]- هي جزيرة تقع في المحيط الهندي جنوب جزيرة العرب على بعد ٢٥٠ كم من الساحل الجنوبي لجزيرة العرب،وتبلغ مساحتها ٣١٠٠كم مربع،يسكنها المهرة وهي الآن تابعة لعدن من الجمهورية اليمنية،ودخلت في حكم الإمامة العمانية أيام الصلت بن مالك الخروصي (سقطرى الجزيرة السحرية،د محمد علي البار،العصر الحديث، ط١٤١٧،١هـ، من ص٩ إلى١١) .

[4]- الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي : بويع بالإمامة عام ٢٣٧ هـ ، وعلى رأس العلماء الذين بايعوه محمد بن محبوب الرحيلي، فسار الصلت بن مالك بالحق في عمان ما شاء الله، حتى فني أشياخ المسلمين جملة الذين بايعوه، وعمر الصلت في إمامته ما لم يعمر غيره من الأئمة حتى شاخ وكبر وأثر الشيب في رجليه فقط وأما بصره وعقله ولسانه فما نقص منهما شيء، وخرج من الإمامة عام ٢٧٢ هـ(غرس الصواب في قلوب الأحباب،إعداد مشائخ دار القرآن،مكتبة مسقط،عمان روي،ط١،بدون تاريخ،ص١٦٤،١٦٣)

[5]- لعل المراد بالنصارى نصارى الحبشة ذكر محمد علي الزرقا في تاريخه المسمى عمان، أن الحبشة تغلبت على سقطرى في عهد الإمام الصلت ، فأرسل أسطولا استعاد سقطرى وطردت=

فكتبت الزهراء قصيدة عصماء تستغيث بالإمام وتستنجده، وتطلب منه أن يسارع بنصرة المسلمين، وتستثير في أبيات قصيدتها همة الإمام الصلت بن مالك ومن معه من الرجال لنجدة الإسلام وشرعه وأهله في جزيرة سقطرى[1] ، تقول فيها ما نصه :-

قل للإمام الذي ترجى فضائله ... ابن الكرام وابن السادة النجبِ
أمست سقطرى من الإسلام مقفرة ... بعد الشرائعِ والفرقانِ والكُتبِ
وبعد حلال صار مغتبطاً ... حي في ظل دولتهم بالمالِ والحسبِ
لم تُبقِ فيها سُنونُ المحلِ ناضرةً ... من الغصونِ ولا عوداً من الرُطبِ
واستبدلت بالهدى كفراً ومعصيةً ... وبالأذان نواقيساً من الخشبِ
وبالذراري رجالاً لا خَلاقَ لهم ... من اللئام علوا بالقهرِ والغَلَبِ
جارَ النصارى على واليك وانتهبوا ... من الحريمِ ولم يألوا من السَلَبِ
إذ غادروا قاسماً في فتيةٍ نُجُبٍ ... عقوى مسامعهم في سبسبٍ خربِ
مُجدّلين سراعاً لا وسادَ لهم ... للعادياتِ لسبعٍ ضاريءٍ كَلِبِ
وأخرجوا حُرَمَ الإسلامِ قاطبة ... يهتفن بالويلِ والأعوالِ والكُرَبِ
قل للإمام الذي تُرجى فضائله ... بأن يغيثَ بنات الدينِ والحسبِ
كم من مُنعمةٍ بكرٍ وثيبةٍ ... من آلِ بيتٍ كريم الجدِ والنسبِ
تدعو أباها إذا ما العلجُ همّ بها ... وقد تلقّفَ منها موضع اللببِ

=الحبشة من الجزيرة والله أعلم (ينظر :تعليق العلامة أبو اسحاق اطفيش على تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان،للشيخ نور الدين السالمي،ج١،المطابع الذهبية،روي عمان،ط١،ص١٦٦).

[1]- الزمرد الفائق في الأدب الرائق، مصدر سابق،ج٤،ص٢٤٩ــ ٢٥٢ (بتصرف).

وباشـــر العلجُ ما كانت تَضنُنُ بـــه ... عـــلى الحلالِ بوافي المهرِ والقهبِ
وحـــلّ كـــلَ عـــراءٍ مـــن مُلمـــتها ... عن سوءةٍ لم تزل في حوزةِ الحُجُبِ
وعـــن فخـــوذٍ وســـيقانٍ مدمـــلجةٍ ... وأجعـــدٍ كعـــناقيد مـــن العـــنبِ
قهـــراً بغيـــر صداقٍ لا ولا خُطِبت ... إلا بضرب العوالي السُمرِ والقُضُبِ
أقـــولُ لـــلعينِ والأجفـــان تسعدني ... ياعين جودي على الأحبابِ وانسكبِ
مـــا بـــالُ صـــلتٍ ينامُ الليلَ مُغتبطاً ... وفـــي سقطرى حريم عُرضة النهبِ
يـــا لـــلرجال أغيثوا كل مسلـــمةٍ ... ولـــو حـــبوتم على الأذقانِ والرُكَبِ
حـــتى يعـــودَ نصابُ الدينِ منتصباً ... ويهـــلك الله أهلَ الجـــور والريـــبِ
وثـــم يصـــبح دعى الزهراء صادقة ... بعـــد الفســـوق وتـــحيى سنة الكتبِ
ثـــم الصـــلاةُ على المختارِ سيدنـــا ... خير البرية مأمـــونٍ ومنتـــخبِ

وما أن وصلت الإمام تلك القصيدة إلا فعلت فعلها في نفسه ؛ فثار ثورة الضـــرغام، وصـــال صولة الغضنفر المقدام، وقام بكل ما يفرضه عليه منصبـــه وواجبـــه من عمل، فجهز جيشاً قوامه مائة سفينة مجهزة بالعدة والعتاد، وعين عـــليه خـــيرة المجاهدين الشجعان، وزودهم بكتاب عبارة عن دستور تنظيمي ينـــتهجون نـــهجه إداريا ودينيا[1]، وبحمد الله تم النصر للجيش المسلم، فأصبح العـــدو بين قتيل وجريح وأسير، فأخذوا البلاد وهزموا الأعداء ورجعوا ظافرين مستبشرين ومن ينصر الله ينصره .

[1]- ينظر تحفة الأعيان سيرة أهل عمان،مصدر سابق، ج١،من ص١٧١ إلى ص١٩٣

وهكذا خلد التاريخ اسم الزهراء كما خلد سيرة الإمام المجاهد الصلت ابن مالك الخروصي رحمه الله تعالى، فمن لنساء المسلمين الآن في شرق الأرض وغـــربـــها وهـــن يتجرعن مرارة الذل والهوان على أيدي الطغاة والمستبدين والمجرمين، فكم من زهراء تستغيث اليوم ولا صلت لها [1].

[1]- فائدة : يحلو للبعض أن يُوجد ترابطاً وتشابـــهاً بين هذه الحادثة وبين حادثة فتح عمورية والحق أن الفارق بينهما شاسع جداً لأسباب منها:

١-أن تحرير سقطرى إنما كان عملاً خالصاً لله عزوجل لم يكن للمغنم أو لأي هدف آخر بخلاف ما كان من شأن عمورية .

٢- الفرق الكبير بين سيرة الإمام الصلت بن مالك الخروصي رحمه الله التي تمثل الإسلام في أصفى صوره وبين سيرة المعتصم التي تصور الجبروت وسفك الدماء يدل عليه ذلك العهد الذي كتبه الإمام الصلت لقادة جيشه المتوجه إلى سقطرى، ويدل عليه أسلوب الحرب الإسلامي في فتح سقطرى حيث لم يكن الافتخار بعدد القتلىعلامة الحق بينما نلاحظ العكس في فتح عمورية حيث يذكر ابن تمام أن عدد القتلى وصل تسعين ألف وهو عدد رهيب .

الغاية زوج أبي القاسم يزيد بن مخلد

لقد آتاها الله قلباً صافياً يلهمه الحكمة ، ونفساً مطمئنة تزكيها الفطنة ، وذهناً متوهجاً فتح له أكمام الوعي ، وامتلكت مواهب وقدرات مما أهلها أن ترتقي إلى أن تكون ملجأ يلجأ إليه العلماء لحل معضلاتهم ، فهيا بنا نتعمق في أغوار هذه الشخصية الطاهرة الباهرة .

بعد أن أتم العالم أبوالقاسم[1] دراسته واستعد للحياة التي يحياها الناس، فكر في الزواج، وبحث عن امرأة تجمع بين الخصال التي يطلبها أمثاله من خلق ودين وعلم، فوجدها في فتاة من أسرة كريمة كانت تسمى الغاية لها من الجمال والخلق والدين والعلم ما يرشحها لأن تكون زوجة لأبي القاسم .

فخطبها من أهلها وزفت إليه بعد سنة من بلوغها، فكانت تحضر دروسه مع تلاميذه من وراء ستار، وكانت الغاية في بيت أبي القاسم مرجعاً للمؤمنات ومرشدة وهادية للفتيات وقدوة صالحة للمقتديات الصالحات .

كان أبو القاسم يحدث طلابه يوما يحرضهم على الدراسة، وينصحهم بالابتعاد عن كل ما يشغلهم عن التعليم، فقال لهم: (لأن يبلغني موت الطالب

---

[1]- أبو القاسم يزيد بن مخلد : نشأ في الحامة في تونس ، ودرس منذ طفولته حتى تفوق على جميع أقرانه ، درس على يد العلامة أبي الربيع سليمان حتى بلغ في العلوم مبلغا متألقا، فاعتبر من كبار الأئمة الذين بلغوا درجة الاجتهاد واتصف بالذكاء والشجاعة والإرادة وجمع الله له الإيمان والمال، أمر السلطان المعز لدين الله الفاطمي بقتله فقتله عامل المعز على الحامة ، ومات ﷺ شهيدا (الإباضية في موكب التاريخ،مصدر سابق، المجلد الثاني،الحلقة الثالثة،ص٥١).

خـــير مـــن أن يبلغني تزوجه) وكانت زوجته الغاية تستمع إليه من وراء ستار، فقـــالت له: (لماذا تزوجت إذن؟) فقال لها: (لو علمت مسألة ليست عندي لشددت إليها الرحال، وتركتك أيتها الزوجة الحبيبة) .

وعندما توفي أبو القاسم بقيت الغاية مقصداً لطلاب العلم والدين والخلق القويم، وكان العلماء والمشايخ يزورونها ويستشيرونها ويستفتونها، ويرجعون في كـــثير مـــن الأحيان إلى رأيها ، وكثيراً ما يلجأ إليها عالم من كبار العلماء في معضلة من معضلات علم الفقه أو علم الكلام ، فيقول لها: (ماذا كان رأي أبي القاســـم فيها أو ماذا حفظت عن زوجك؟) وهكذا ظلت ملاذاً لطلاب العلم والعلماء[1] إلى أن اختارها الله ﷻ راضية مرضية .

[1]- المصدر السابق، ص٥٦ - ٥٧ .

غزال (أم أبي الحاتم)

غزال هي زوج الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح[1] ، وكانت أحب نسائه إليه ، فقد امتلكت قلبـــه بقوة شخصيتها وبالربيع الضاحك في محياها وبصفاء طويـــتها وحسن قيامها بالبيت ، فكونت لأبي اليقظان فيه جواً مفعماً بالحنان ينسيه هموم الرئاسة ويستريح فيه من أتعاب الإمامة ، وكانت لحزمها كما قال ابن الصغير: (مالكة لأمور أبي اليقظان وحشمه) .

امتازت غزال بذكائها، وثقافتها النسوية وحسن قيامها بالدار وبراعتها في إدارتـــه وحيـــاء الدين الذي كان في محياها ونورها وإشراقها فكانت نجمة مـــتلألأة ،وبتميزها تميز طفلها يوسف[2]، فكان ذا شخصية قوية جذابة واتصف بمزايا حببته إلى أبيه ، اهتمت غزال بتربية ابنها يوسف تربية إسلامية بناءة حتى أصبح ولدها معيناً لوالده في شؤون الإمامة ، وأخذ والده يكلفه بمهمات الدولة

---

[1]- أبو اليقظان محمد بن أفلح : كان إماما من أئمة الدولة الرستمية ، بلغ الغاية في العدل والفضل والاقتداء بمن سلفه ،فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدون أيامه وسيرته إلا بأيام جده عبد الرحمن وسيرته ،وذلك أنهم اتخذوا مجلسه حينئذ كالمسجد فطائفة يصلون وطائفة يقرؤون القرآن وطائفة يتذاكرون في فنون العلم، ومكث في إمامته أربعين عاما محمود السيرة مجتهدا في الصلاح قائما بالحق وقاضيا بالعدل (تاريخ المغرب الكبير،مصدر سابق،ج٢،ص٥٩٥-٥٩٨).

[2]- يوسف بن محمد (أبي حاتم): بايعه المسلمون بالإمامة بعد وفاة والده، اتصف بقوة الشخصية والحزم والاستقامة والتواضع ودماثة الخلق، وحسن السياسة، ونشر العدل واستقامت الأمور له، وبعد فترة حدثت في عصره فتن انتهت باغتياله على يد أخوته، فمات رضي الله عنه شهيد العدالة والاستقامة (تاريخ المغرب الكبير،مصدر سابق،ج٢،ص٥٩٩-٦٠٠).

فيحســـن القيام بـــها، وبدأت كفاءته ونبوغه تظهر ، واتصف بالحزم والذكاء والشجاعة حتى اختير إماماً من بعد أبيه ، بفضل إحسانه إلى الناس .

لقـــد كانت غزال قدوة صالحة للزوجة المخلصة لزوجها ، ونبراساً للأم المربية، لقد عاشت مع إمام العدل والعلم وأنجبت ذلك الإمام الفذ أبا حاتم [1].

[1]- تاريخ المغرب الكبير، مصدر سابق، ج٢، ص٥٩٩ ــ ٦٠٠ .

الفصل الرابع

(٤٠٠ هـ - ٤٥٠ هـ)

❖نانا تابر كانت السدراتية

❖زوجتا أبي هارون موسى بن هارون

❖عافية (أم ماطوس)

❖زينب بنت أبي الحسن

نانا تابر كانت السدراتية

امـــرأة ربانيـــة عاشت في تلك العصور العامرة بالإيمان والعلم والخير، ســـكنت "ابنَايَنْ"[1]، واشتهرت بين العلماء فكانت عالمة فاضلة بلغت من العلم والورع ما جعلها ملاذاً للمشايخ والعلماء العاملين، ومما يدل على علم نانا تابر كـــانت[2] وعمـــق اطلاعها وفهمها لأسرار الشريعة، أنه زارها جمع من العلماء فقالوا لها: (أوصنا يا عجوز) فقالت لهم: (إياكم وكثرة الكلام لئلا تحنثوا[3]، وإيـــاكم والـــتهمة لئلا تظلموا) ثم قالت لهم: (يقول بعض العلماء الحكماء: (نـــقِّ العمل فإن الناقد بصير، وجدد السفينة فإن البحر عميق، وكثر الزاد فإن الســـفر بعيد) ثم حذرتـــهم عن الزيارة لطلب الحوائج، والمصافحة بالمقارعة، والأكل أكل النهم، والمشي مشي المرضى، والنوم نوم الموتى. فهنا تصحح هذه العجـــوز بعض السلوكيات المنحرفة؛ فالزيارة إذا كانت في الله فهي أكثر خيراً، والمصـــافحة فيما بينهم يجب أن تكون باليتي هي أحسن لا بالفوضى والعنف؛ فتتحول إلى كراهية، وتنهاهم عن كثرة الأكل؛ لأنه من عمل البـــهائم، وتحثهم

---

[1]- قرية تقع شرق كباو في الجمهورية الليبية (الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق،الحلقة الثانية،القسم الأول،ص١٨٩) .

[2]- نانا تعني الجدة وتابر كانت تعني العالمة الفاضلة الصالحة وهي كلمة بربرية (الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الأول، الحلقة الثانية،ص٢٥٢).

[3]- الحنث هوالحلف في اليمين أي لم يبر فيها (لسان العرب، مصدر سابق، ج٢، ص١٣٨) .

على أن يسيروا بمشية الأقوياء المتواضعين، والذين يكثرون النوم فهم يعدون من الأموات لا من الأحياء فالإنسان النشيط لا ينام إلا بعد الحاجة .

كان لعلمها العميق ولخبرتها الواسعة التي حنكتها بها الحياة دور في سبر أسرار النفوس؛ فأثرت عنها حكم وأقوال بليغة، فمن ذلك قولها: (شر الصدور صدر لا رأفة فيه، وشر الأقدام قدم لا تزور في الله، وشر البيوت بيت لا يدخله المسلمون، وشر المال مال لا ينفق منه)[1].

[1]- الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الأول، الحلقة الثانية، القسم الثاني، ص٢٥٢ .

زوجتا أبي هارون

موسى بن هارون

كان لأبي هارون[1] امرأة صالحة يحبها وتحبه، وكانت عالمة ذكية ولكنها غير ولود، ونصحه المشايخ أن يتزوج غيرها عسى أن يرزقه الله أولادا صالحين ففوض إليهم أمر الاختيار، ووكّلهم القيام بهذه المهمة وكل ما اشترط عليهم أن يتوفر فيها الصلاح والتقوى، وتشاور المشايخ ودرسوا الموضوع واستعرضوا عقائل الجبل -جبل نفوسة- فاتفق رأيهم ووقع اختيارهم على امرأة فاضلة.

ترى من تكون هذه المرأة التي اتفق المشايخ على اختيارها زوجة لأعظم رجل في ذلك الحين؟ إنها ابنة جدة المشايخ السيدة " تابر كانت " أعظم امرأة في الجبل وأصلحها، فهي فرع من شجرة العلم الباسقة التي ارتوت بماء الحكمة وتغذت بثمرها وجناها وقطوفها، بذلت الجدة تابركانت جهدها في تربية ابنتها على الخلق الكريم والدين القويم وزودتها بالعلم النافع الذي يكون نفعه في الدنيا

---

[1]- أبو هارون موسى بن هارون : نشأ في " ثملوشايت " بليبيا ، وأخذ مبادئ العلم من مدارسها العامرة، وتتلمذ على يد العالم أبي محمد التمصمصي وغيره حتى أصبح علماً من علماء الإصلاح، بعدها قام بتدريس طلاب العلم، وكان يقوم معهم برحلات علمية لدراسة البيئة ويعلمهم أدب السلوك مع الناس، ويدربهم على القيام بدروس الوعظ والإرشاد، وتولى حكم جبل نفوسة بعد ذلك (الإباضية في موكب التاريخ،مصدر سابق، المجلد الأول، الحلقة الثانية،القسم الأول، ص١٨٩-١٩١).

والآخـــرة وثقفتها الثقافة الهادفة التي تؤهلها للقيام بدورها ومشاركة الرجل في أهـــم الميادين بالرأي والنصيحة، وعرض الأمر على الفتاة فقبلت الفتاة ورضي الشيخ وزفت العروس الصالحة إلى العالم المؤمن، ورزقها الله عز وجل منه بعدد مـــن الأولاد أقروا عين والدهم الشيخ وخدموا الأمة بإخلاص[1]، وأخذت هذه الأم عـــلى عاتقها تربية أبنائها ليكونوا مناراً للأمة ونبراساً يقتدي بـــهم الناس فكان منهم أبو زكريا يحيى: الذي كان همه آخرته وقد جمع جميع خصال الخير، ومـــن أقواله: (لا أبالي بالموت متى نـــزل بي) لبيان قوة استعداده له، ومات وهـــو شاب عمره أربع وعشرون سنة[2]، أما ابنها أبو الربيع، فقد كان سخي الكف عالماً شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أخذ العلم عن أبي يحيى زكـــريا بن سفيان اللالوتي وغيرهم، جمع إلى العلم الواسع والدين القويم والخلق الكـــريم شـــدة في الحق لا تلين ومحافظة على دين الله لا تفتر، وسيرة صالحة لا تضعف[3]، فحقيق بنا نذكر هذه المرأة الصالحة في تاريخنا وسيرنا؛ إنها ابنة أعظم امـــرأة في الجبل وأصلحها، وزوجة أفضل علماء أهل نفوسة وأم أولئك الأعلام البررة .

---

[1]- الإباضـــية فـــي موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الأول، الحلقة الثانية، القسم الأول، ص ١٩٠ -١٩٩ (بتصرف).

[2] - السير، مصدر سابق، ج٢، ص١.

[3]- المصدر السابق، ص٢.

عافية (أم ماطوس)

تربت هذه المرأة في حجر الدين، ونمت في رياض طاعة الله ﷻ، وتألق وجدانهـــا في حـــرم مجالس العلم، وكانت حريصة على حضور هذه المجالس؛ لشغفها بالمعرفة والتفقه في أمور الدين حتى أصبح مشايخ العلم لا يعقدون مجلساً إلا بحضورها ،كان اسمها عافية ولكن كنيت بأم ماطوس، طلبت العلم ببلدها[1] بليبيا، ودرست على يد علمائها حتى لم تجد عندهم جديداً فرغبت في الالتحاق بمدرسة أبي محمد بن خصيب[2]، وليس بالمدرسة قسم داخلي للبنات وبين البلدين مسافة طويلة لا تقل عن أربعة أميال، فعرضت أمرها على أهلها فعارضوها، ولما ألحـــت في الطلب ثارت ثائرتهم، وقرروا أن يمنعوها بالقوة، وكيف يسمحون لفتاة في عمر الزهور أن تقطع تلك المسافة الطويلة يومياً بمفردها، وكان أصلب الجميـــع في الموضوع أخوها الغيور؛ فتطوع أن يحبسها ويقوم بوظيفة السجان، فكان إذا أتى الليل أغلق الباب على أم ماطوس ونام على الباب، فكانت تتركه

---

[1] – وبـــلدها عـــبارة عن مدينة منبسطة فوق جبل "جَارْ إصرَ ا " شرقي كباو بالجمهورية الليبية (المصدر السابق،الحلقة الثانية،القسم الثاني،ص٢٣٩).

[2]– أبـــو محمد بن خصيب بن إبراهيم التمصمصي : تلقى هذا العالم الجليل المبادئ الأولى من دراســـته فـــي تمصـــمص بليبيا ، ثم التحق بمدرسة أبي يحيى الفرسطائي وبمدرسة أبي الربيع ســـليمان، وأتم دراسته هناك ، وتخرج منها علما من علماء الإسلام ، ثم أسس بعد ذلك مدرسته الشـــهيرة في بلدته تمصمص، كافح من أجل العلم دارسا ومدرسا وكان كريما جوادا، وقد ملأت بطـــون الكـــتب كـــثيرا مـــن فتاواه ومواعظه وتوجيهاته وأقواله في الفقه (الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الأول، الحلقة الثانية، القسم الثاني، ص٨٥).

حتى ينام فتفتح الباب وتغلقه خلفها فتأخذ مزراقها[1] في يدها، وتذهب إلى مدرسة أبي محمد التمصمصي، فتحضر المجلس متلحفة[2] بثوبها فإذا افترق المجلس رجعت، وتجعل مزراقها في زيتونة ثم تدخل البيت وتغلق الباب وكأن شيئاً لم يكن[3]، وكان ذلك دأبها ، فلم تنجح جميع هذه الوسائل في صدها عما رغبت فيه، ودرست في تلك المدرسة حتى تخرجت منها، وكانت فيما بعد مرجعاً من مراجع العلم والفتوى .

وقضى الله لها أن تتزوج في " مرساون "[4]، فكان المشايخ لا يعقدون مجلساً إلا بحضورها ، فتحضر المناقشات وتسمع آراء الأعلام، وكثيراً ما تكبدت مشاق السفر وهي حامل لتحضر المجامع التي تعقد في " أجناون " أو غيرها من الأماكن التي يختارها المشايخ للاجتماع .

وكان لا يعوقها عن حضور تلك المجالس عائق، فقد ذهبت في إحدى المرات إلى أجناون، وهي على بعد عشرة أميال عن منزلها مصطحبة معها أمتها[5]، كانت ورعة في دينها حافظة لحقوق زوجها يروى أن أحد المشايخ أراد

- المزراق: الرمح القصير (لسان العرب، ج١٠، ص١٣٩).

- متلحفة: تعنى التحفت وتغطت به بحيث اشتمل جميع جسدها (المنجد في اللغة،مصدر سابق،ص٧١٦).

[3] -كتاب السير، مصدر سابق، ج٢، ص١١ــ١٢ .

[4]- مدينة تقع قرب تمجار بالجمهورية الليبية (المصدر السابق،ص٢٤٠).

[5] -الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الأول، الحلقة الثانية، القسم الثاني، ص٢٣٩ ــ٢٤١.

المـــبيت في بـــلدة أم ماطوس، فلما وصل أرسل بغلته إلى أم ماطوس؛ لينـــزل عندها فردتـــها، ثم أرسلت إليها بعد فأخذتـــها، واعتذرت للشيخ عند العشاء بأن زوجها غائب حين بعث ببغلته فلما جاء استأذنته فأذن لها[1] .

هذه المرأة العالمة لم يمنعها حجابها من الجلوس في مجالس المشائخ تستمع إليهـــم وتسائلهم وتستجيب لنقاش الطلبة وترد عليهم، و لم يمنعها حياؤها من بلوغ هذه المرتبة السامية من العلم بل زادها العلم مزيداً من الاجتهاد في طلبه.

فما أروع أن تسطر حياة هذه المرأة في أجمل صفحات التاريخ ، لتكون قدوة صالحة لكل فتاة في تحمل المشاق وعناء الطريق ومعارضة الأهل من أجل البلوغ إلى الهدف النبيل وهو طلب العلم.

[1] – كتاب السير ،مصدر سابق، ج٢، ص٢ .

زينب بنت أبي الحسن

هـــي زوج العلامة أبي الخطاب عبد السلام منصور المزاتي[1]، كانت فتاة وافرة الدين والأدب والجمال، واستقر بـــهما الحال في مدينة (درجين)[2]، ولم يكن ينقص أبا الخطاب شيء إلا أن يرزقه الله تعالى ولداً ذكراً يكون له عوناً في شـــيخوخته يـــرثه ويحمل اسمه، وإنما رزقه الله عدداً من البنات، وعندما يجمعه وزوجته السمر كان كثيراً ما يقول لها في مداعبة ورجاء أن تفهم ما يرمي إليه: (يوشـــك أن يغـــلب بنو العم على بناتك يا زينب)[3] وهو يقصد أن أولئك البنات عندما يكبرن يخطبـــهن أبناء العم فيتزوجن، ولا يبقى في البيت غيرهما، وما أشد وحشة بيت لا يسكنه غير شيخين هرمين، كانت الزوجة الوفية المحبة زيـــنب تفهـــم ما يرمي إليه زوجها أبو الخطاب، وكان بجوارهم رجل من بني ورغميـــت مـــع عياله، وعندهم فتاة صبية أديبة ونشيطة، وكانت ذات جمال

---

[1]- أبو الخطاب عبد السلام بن منصور المزاتي هو أحد من رتب لتشكيل الأساس لحلقة العزابة، وأحكم لها المراس، أخذ العلم من أبي نوح سعيد وأبي عبد الله بن بكر ، وكان من المجتهدين وله رغبة شديدة في العلم والدين، وكان يتحرى مجالسة الصلاح، وينتهز الفرصة أينما سنحت، وكان شغوفاً بالمذاكرة يطيل السهر، واشتهر بعلمه الوافر في العلوم اللغوية والشرعية، وعاش في كفاح مســـتمر حـــتى توفـــاه الله ﷻ (الإباضـــية في موكب التاريخ،مصدر سابق،المجلد الثاني،الحلقة الثالثة،ص١١٣-١١٥).

[2]- هـــي مدينـــة تقـــع بالقـــرب مـــن نفطـــة فـــي بلاد الجريد في جنوب تونس (نشأة الحركة الإباضية،مصدر سابق، ص١٧).

[3]- طبقات مشايخ المغرب، مصدر سابق، ج٢، ص٤٠٦ .

بارع، فأعجبت بـــها زينب وأحبتها؛ فخطبتها لزوجها الشيخ، وهي تدعو الله أن يهـــب له ولداً تقر بـــه عينه، ولبناتـــها أخاً يلجأن إليه إذا ضاقت بـــهن سبل الحياة، وتزوج الشيخ هذه الفتاة الورغمية وكان مولودها البكر ذكراً سماه الشـــيخ سعيداً، ومن هذا الولد تناسلت ذرية العلامة أبو الخطاب عبد السلام[1]، فكان في رأيها الخير والبركة واليمن .

[1]- الإباضية في موكب التاريخ (تونس)، مصدر سابق، ص١١٥ .

الفصل الخامس

(٤٥٠ هـ - ٥٠٠ هـ)

❖ طوست زوجة أبي عبد الله محمد بن تامر

❖ أم ماكسن

❖ أمة الواحد

❖ عائشة بنت معاذ بن أبي علي

طـــــوســـت
زوج أبي عبد الله محمد بن تامر

إنـــهـــا شخصـــية فـــريدة مميزة في تاريخ المسلمات الإباضيات علماً وســـلوكاً، أعطاها الله نوراً في البصيرة وضياءً في القلب حتى كان قلبـــها أشبه بمرصد يستقبل نفحات الله وأنوار الإيمان ، فامتلأ كيانـــها صفاء ونقاء وشفافية وروحانية، جمع الله تعالى لها بجانب العلم والتقى والعبادة والورع شرف خدمة ولي مـــن أوليائه، فشرفت بالزواج من أبي عبد الله محمد بن تامر وكان شيخاً فاضلاً وعالماً تقياً يسكن فزاوة[1] .

ومـــا يدل على عبادتـــها وورعها وأداء حق زوجها ، ما أوصت بـــه ابنتها حين جهزتها للزفاف، فقالت لها: (ما نمت حتى أصلي خمسين ركعة، و لم يرني والدك عابسة قط، و لم تصدر مني كذبة عليه قط إلا مرة واحدة، وهي أن قـــلت لأبيـــك أبي عبد الله وقد سألني أعلفت البغلة، وقد تعب وهو صائم ولا يفطـــر حـــتى تعلف مطيته، وقدمت له فطوره قلت: (نعم)، وزدت للبغلة في علفها وآتيتها بـــه، فقلت: (اجعليني في حل فيما كذبت عليك، وقد زدتك في علفك) فأومأت برأسها شبـــه من يقول أنت في حل .

---

[1]- مديـــنة تقع جنوب تونس (الإباضية في موكب التاريخ "الإباضية في تونس" ، مصدر سابق ، ص٤٤).

وقـــد كـــانت داعيـــة بسلوكها الرفيع وعلمها الواسع فتأثرت بـــها خادمـــتها أم خليفة، فكانت سبباً في هدايتها وتبصيرها بعقيدة الإسلام الحق ، فرجعت إلى عقيدة أهل الاستقامة بعد أن كانت حشوية[1] ،وأصبحت من خيار المسلمات الورعات التقيات [2].

[1] – الحشوية : هم أهل التجسيم والتشبيه لله تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

[2] – كتاب السير ،مصدر سابق، ج٢، ص١٢٨ (بتصرف).

أم ماكسن بن الخير

عاشت هذه المرأة في عاصمة الدولة الصنهاجية في البلاد التونسية، توفي عنها زوجها وترك لها ابناً اسمه ماكسن، فهي والدة العلامة ماكسن بن الخير، وهي صاحبة الفضل عليه، وكان من أمر ولدها ماكسن أنه أصيب بالعمى وهو طفل ؛ فجهدت بكل وسيلة لتجد دواء له ما استطاعت لذلك سبيلا، وكانت لا تفتر عن السؤال عن دواء يرد البصر لوليدها فما اهتدت، وكانت ذات مرة في بيت أم يوسف زوج المعز بن باديس سلطان أفريقيا، فكانت أم يوسف لا تنفك تنظر إلى ماكسن، وتتأمله فأعجبت بذكائه وخفة روحه، ونصحت أمه بأن تأخذه إلى الكتّاب ليتعلم فتنبهت الأم لذلك وتداركت أمرها؛ فأدخلت ابنها ماكسن مدرسة المدينة وحفظ القرآن الكريم في وقت قصير، وبذلت الأم جهدها من أجل تعليمه وتفرغت له وفرغته للعلم والدراسة[1]، وبعد أن كبر سافر إلى مدرسة أبي محمد وسيلان بن أبي صالح بجربة[2] بتونس، وكان أنجب

---

[1]- الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الثالث ص٩٣ – ٢٠٢ .

[2]- هي جزيرة في المغرب من ناحية أفريقية قلب قابس،يسكنها البربر،وتتفق المصادر أن جربة فتحها الصحابي الجليل رفيع بن ثابت الأنصاري سنة ٤٧هـ،ثم أصبحت قلعة من قلاع الإسلام الصامدة ومعقلاً من معاقل الإباضية،وصخرة من الصخور التي حطمت مطارق المستعمرات الصليبية وهجمات الفاطمين والصنهاجين (محاضرة للشيخ أحمد الخليلي عن جزيرة جربة،معجم البلدان، ياقوت الحموي،ج٢، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ، ص١١٨، ملامح من=

وأذكى طلابـــها، وكان كل من رآه يستغرب من براعته وكثرة حفظه إلا أنه كـــان ســـريع الغضب، حاد الكلام وشكى الطلبة إلى أستاذهم أبي محمد من ماكســـن، فسألهم ما يشكون منه، قالوا: (نشكو منه الخفة) فقال لهم: (لقد ســـئل رســـول الله ﷺ: (**بم تكون الخفة في المؤمن؟**) فقال لهم: (لغزارة في قلـــبـــه) وكان أبو محمد يقول لهم : (والله لا أسمع قولكم فيه ولا أقبله) لما تفرس فيه من الخير والبر وجدية في طلب العلم[1]. وظل في دراسته، فاجتهد حتى أصبح عالماً وفقيهاً وإماماً يسعى إليه العلماء، و لم يقعده العمى واليتم عن التعلم والدراســـة، فبفضـــل الله ثم بفضل نصيحة أم يوسف وبفضل بذل الأم الجهد لتعليم ولدها، أصبح ولدها ماكسن ممن يملك إرادة قوية وصدق عزيمة دفعاه إلى أن يتفوق بأعماله المبصرين، ويصبح ذلك العالم الفقيه الذي عوضه الله عن فقد بصره نوراً في البصيرة وضياء في القلب يرى بقلبه ما لا يراه المبصرون بأعينهم.

=الحـــركة العلمية عند الإباضية بجربة،من الفتح الإسلامي سنة ٤٧هـــ إلى أواخر القرن الثاني عشر الهجري، د فرحات الجعبيري، ص١،٢،٧).

[1] – طبقات المشائخ بالمغرب،مصدر سابق، ج٢، ص٤٣٠، ٤٣١ .

أمـــة الواحـــد
زوج أبـي عامر التصراري

أمـــة الواحد امرأة مؤمنة صالحة يجمعها إلى زوجها العالم أبي عامر حب وعطف وحنان وتشابـــه في الميول والعواطف والأعمال، حدث أن جاءت يوماً عجوز من (تندميرة)[1] إلى (تصرار)[2] تشكو إلى أبي عامر ابنتها الشابة اليتيمة وتدعـــى (توزيـــن)، وأنهـــا ترفض الزواج خشية حقوق الزوج وخوفاً من المســؤولية في الأسرة، وخافت العجوز على ابنتها أن تتركها في يوم من الأيام دون رعايـــة أحد، فعطف عليها الشيخ واجتمع بالمشايخ، وذهبوا إلى تندميرة لإقـــناع الفتاة فاقتنعت، وكانت مفاجأة أن اختارت أبا عامر ليكون زوجاً لها فوافـــق ، ورجـــع أبو عامر إلى زوجه الحبيبة أمة الواحد بأثقل خبر على المرأة، ورجاها أن تستعد للقاء الزوجة الثانية، فما أخلفت ظنه وقامت تعد في منـــزل الشيخ ما يعد للعروس في أول الزفاف واستقبلتها استقبال الأخت المحبة .

إن لأمـــة الواحـــد قلباً وعاطفة جياشة كما لسائر النساء ، وهي تحب زوجهـــا أبـــا عامر، ولكن لها مع ذلك دين يعصمها من النـــزق، ويمنعها أن

---

[1] – مدينـة تقـع عـلى الضفة الغربية من وادي "شَرْوَسْ" من الجمهورية الليبية (الإباضية في موكب التاريخ،مصدر سابق،المجلد الأول،الحلقة الثانية،القسم الثاني،ص١٨٧).

[2] – قـرية تقـع عـلى الضفة الغربية لوادي "كَـرَّاين" بالجمهورية الليبية (المصدر السابق، ص١٧٧).

تتعدى حدود الشريعة، وعاشت الزوجتان تحت كنف أبي عامر يرعاهما بلطفه ويغمرهما بحبه ويساوي بينهما بعدله .

ويحكى أن أمة الواحد ذات يوم ذهبت لتجمع الحطب من بعض البساتين، فوسوس لها الشيطان أن الشيخ قد تغدى مع الزوجة الشابة، وتركا لها لقمة باردة في ناحية من البيت ، فتعوذت من الشيطان وزادت الحطب إلى حزمتها لترغم أنف الشيطان، فلما رجعت إلى الدار وجدت الزوجين قد تغديا وتركا لها نصيبها في إناء، فرجع إليها الخاطر من جديد فدبت الغيرة في نفسها واصفر لونها، ونظر إليها زوجها أبو عامر بحنان وعطف ورآها متغيرة الوجه، فقام إليها وأمسك بطرف كمها، وقال كمن يخاطب الشيطان: (اخرج يا عدو الله من جسد طاهر) فاستعادت رشدها وأبعدت وساوس الشيطان ببركة دعاء زوجها وزالت الغيرة من نفسها، وهكذا عاشت أسرة أبي عامر في ظل الإيمان وطاعة الله عز وجل في منزل يغمره الحب والتعاون والتفاهم[1].

[1] – الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، المجلد الأول، الحلقة الثانية، القسم الثاني ، ص٢٣٣ – ٢٣٦ .

عائشة بنت معاذ بن أبي علي

مـــا أحـــرى بالـــتاريخ أن يقف قليلاً متأملاً عظمة هذه المرأة الجليلة، وحســـبها عراقة في الدين أنها ابنة العالم الجليل معاذ وأخاها أشهر من نار على عـــلم، لقـــد ولـــدت في بيت يتلألأ بالدين الحنيف ويتعطر سماه بعبق تعاليمه الســـمحة، وتـــتهادى فيه ملائكة الرحمة .. في هذا المناخ الطاهر الباهر نشأت عائشة نشأة مباركة زكية .

كـــانت أسرة العالم الصالح معاذ بن أبي علي[1] في مدينة "آجلو"[2]، مدينة الصلاح والعلم والعمل،وكانت أسرة دين وعلم وفضل وخير نساء هذه الأسرة ابنـــته النجيبة عائشة، حفظت القرآن الكريم وهي صغيرة السن، وتفتح عقلها الذكـــي لمـــزيد مـــن المعرفة، فلما بدت عليها ملامح الأنوثة والجمال ونضارة الشباب، طلبت من أبيها أن يشتري لها حصيرا من النوع الخفيف غير عريض، وطلبت من أمها أن تحضر لها عباءة، بعدها أقنعت والديها برغبتها في الاستمرار في طـــلب العلم على يد المشايخ، فوافقا على ذلك، فكانت تذهب إلى المجامع

---

[1] – معـــاذ بـــن أبي علي: استقر العالم الصالح معاذ في آجلو واستطاع هناك أن يحضر مجالس العـــلم ويعيش بين تلك المساجد والمجامع العلمية العامرة بالإيمان والمعرفة والعبادة وكان سخي الـــنفس سليم الصدر بعيد على المزاحمة في أمور الدنيا وكان يحب الخير للجميع (الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق،المجلد الثالث، ص٣٤٥).

[2] – مديـــنة تقـــع بالقرب من " بلدة عمر " بالجزائر، اشتهرت بالصلاح والعلم حتى سميت ببلدة الصالحين (المصدر السابق، ص٢٤٤) .

العلمية متلحفة في عباءتـــها الساترة الحاجبة، فإذا بلغت المجالس وجلست قريبا مـــن شيخها، استترت بالحصير وتخفت بعباءتـــها فكان شخصها مفصولا عن الحاضـــرين لا تراهم ولا يرونـــها، ولكنها تسمع وتناقش وتكتب ما تشاء في حرية كاملة ، فقد انطبق على عائشة قول الشاعر:-

فاطـلب من العلم مما تقتضي الفروض به ... واعمـل بعـلمك مضـطرا ومختارا
واطلـبـه مـا عشت في الدنيا ومدتـها ... في موقف العرض أن لا تورد النارا
واجعلـه لله لا تجعـلـه مفخـرة ... ولا تـرائي بـه بدوا وأحضارا[1]

وقـد مَنَّ الله على عائشة بعقل متفتح وذكاء متقد وفهم عميق للعلم، فدرســت علم الكلام على يد العلامة الكبير تبغورين[2] بن عيسى الملوشطي[3]، وغيره من المشايخ في شبـه تخصص تأخذ عن بعضهم علوم الشريعة والأصول، وتـدرس عـند بعضـهم التاريخ والرياضيات وفروع الثقافة المعروفة في ذلك العصـر، وتـأخذ عن غيرهم علوم اللغة والأدب، وكانت ترى أن تعلم اللغة

---

[1]- المغرب الكبير، مصدر سابق، من شعر الإمام أفلح ص٥٧٥ .

[2]- تـبغورين بن عيسى الملوشطي ولد في ملوشطة وسكن في آجلو بتونس ، أخذ العلم عن أبي الـربيع سليمان بن يخلف المزاتي وغيره،وقال عنه الشماخي: (أعظم الناس قدرا وأكثرهم علما وأشـدهم عمـلا) وكان لهذا العالم كتاب في علم الكلام يعتبر من أهم المراجع التي يرجع إليها المؤلفـون والعـلماء فـي كـتاباتهم،كما أنـه ألف كتاب أصول الدين (البعد الحضاري للعقيدة الإباضية،مصدر سابق،ص١١٦).

[3]- كتاب السير،مصدر سابق، ج٢، ص٨٩ .

وآدابـــهـــا وما تقوم عليه من نحو وصرف لا بد منه حتى يتسنى للمسلم فهم كـــتاب الله وسنة نبيه الكريم، وظلت تنهل من هذه العلوم المختلفة حتى بلغت مكانـــة ســـامقة في العلم، واشتهرت بين أهل العلم بمعارفها الواسعة واطلاعها الواسع، فصارت تميز بين مراتب العلماء وتقارن بينهم ،وكانت تقول: (رأيت كـــثيراً من العلماء وأهل الخير، واستمعت إلى عدد منهم واستفدت، ولولا أبو العباس[1] لمت على الجهل) .

كانت عائشة مثلاً للمرأة المسلمة المتعلمة المستنيرة التي تشارك الرجل في جميع الميادين الثقافية دون أن تتخلى عن رسالتها كأم ترعى أولادها، وكزوجة تصـــون نفســـها وبيتها وتحفظ زوجها في نفسها وماله وبيته وتوفر له وسائل الراحة والسعادة والاستقرار، فلم يمنعها خمارها[2] وثوبـــها الساتر الفضفاض من مناقشـــة أذكى الطلاب والتفوق عليهم، ومناقشة كبار العلماء في أدق المسائل،

---

[1]- أبـــو العباس أحمد بن محمد بن بكر أصل أسرته من نفوسه ،أخذ العلم عن أبيه أبي عبدالله محمد بن بكر،استقر في تمولست في الجنوب التونسي وبـــها صنف كتبـــه وهي خمسة وعشرون ،كـــان ذلـــك العـــالم المعـــلم دائرة معارف يجول في كل ميدان وكانت دروسه تشبـــه أن تكون محاضـــرات تلقى في جميع فنون العلم من علوم الشريعة والأصول وعلوم اللغة والأدب وفنون الثقافة العامة (الإباضية في موكب التاريخ،مصدر سابق،المجلد الثالث،ص٣٤٨).

[2]- قـــال تعالى : ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ الخمر جمع خمار وهو ما يخمر بـــه أي يغطى بـــه الرأس وفتحات الثياب من العنق ويقصد هنا الصدر والنحر حتى لا يرى منه شيء (أنوار من القرآن الكريم من سورة النور، محمد صالح ناصر، ١٩٩٣م،ص٧٦) .

وصـــلت إلى تـــلك المكانـــة العالية من العلم دون أن تلقي عنها ثوب الحياء والحشمة، فكانت نبراساً لكل امرأة صالحة مؤمنة مجتهدة في طلب العلم[1].

[1]- الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الثالث، الحلقة الرابعة، ص٣٤٤ - ٣٥٠.

الفصل السادس

(١٠٠٠ هـ - ١٣٠٠ هـ)

- ❖ عائشة بنت محمد العبرية
- ❖ عائشة الريامية
- ❖ راية البيمانية
- ❖ ما ماستي
- ❖ أم الشيخ صالح بن علي الحارثي
- ❖ ستي بنت عمر نتموستي
- ❖ عائشة بنت الناصر محرزي
- ❖ سليمة الصقرية
- ❖ شمسه الخليلية
- ❖ عائشة بنت مسعود العامرية
- ❖ نقية بنت عامر الحجرية
- ❖ مامة بنت عبد العزيز
- ❖ عائشة بنت عمر بن سليمان
- ❖ مامة بنت سليمان

عائشة بنت محمد بن يوسف العبرية

هذه المرأة السخية عرفت معنى الاستخلاف في المال فلم يبهرها بريق الذهب والفضة ، كان إشراق قلبها وسمو روحها يجعلانها في عالم مضيء بالسكينة والارتفاع عن مغريات الحياة، لقد كانت نهراً متدفقا بالجود والعطاء، لقد اشترت بمالها الفاني الثواب الباقي الذي ستلقاه -إن شاء الله- ثواباً عند الله في جناته، فهيا بنا نستجلي سيرتها العطرة .

هي الابنة الوحيدة التي خلفها الشيخ محمد بن يوسف العبري[1]، وقد تزوجها الشيخ سالم بن خميس بن عمر العبري[2]، نشأت البرة التقية الحرة المرضية

---

[1] - الشيخ محمد بن يوسف العبري : برع في العلم والعمل، ولبس من الفضل والأدب أجمل الحلل، ولاه الإمام سلطان بن سيف واليا على بلدان السر بالظاهرة، واشتهرت ولايته بالعدل والورع، له آثار في منطقة الظاهرة منها : أنه زاد في خدمة فلج الغبي في الظاهرة حتى صار لا مثيل له في تلك البلاد، كما أنه حفر فلج البزيلي ويعتبر غزير الماء وكان يأمر بزراعة الحنطة والسكر والحمص والبصل بمائه ويأتي بعائد اقتصادي ضخم للبلاد، وأما عن آثاره في ولاية الحمراء فهي بناء بيت العالي الكبير المسمى ببيت الصفا وهو لا يزال خالدا ومحكم البناء إلى الآن، كما أنه بنى بيت البيتين في المسفاة وقد بناه بالآجر والحجارة، توفي رضي الله عنه بعد كفاح من أجل العلم والعدل والخير عام ١١٢١ هـ (تبصرة المعتبرين في سيرة العبريين،ابراهيم ابن سعيد العبري، نسخة مطبوعة غير محققة ،ص١٧-٢٥ بتصرف).

[2] - الشيخ سالم بن خميس العبري : هو من علماء ولاية الحمراء كان واسع العلم وكثير التحقيق واتصف بغزارة في أصول العلم، وكان ورعا زاهدا، كثير المباحثات لعلماء عصره كالشيخ العلامة سعيد بن بشير الصبحي والشيخ خلف بن ناصر الحمراشدي وغيرهم الكثير ، جمع مما اختاره من جواباتهم في كتاب واسع في مجلدين سماه فواكه البستان، وتوفي رضي الله عنه بعد=

عائشـــة في بيـــت أدب وعلم، وتربت تربية صالحة، وساعدها على ذلك البيئة العلمية والدينية التي ترعرعت فيها، اتصفت بالزهد وكثرة العبادة والإسراع في الخـــير طلـــباً لما عند الله من عظيم الأجر والثواب .ومن آثارها التي ما زالت موجودة في ولاية الحمراء[1]:

١- بـــناء مســـجد الصاروج المسمى الآن بـــ(مسجد السحمة)، وسمي المسجد بالصاروج لأنه بني بالصاروج والحجارة .

٢- أوقفت[2] لإصلاح هذا المسجد أثر[3] ماء من فلج العراقي بعبري[4] .

٣- أوقفت بستاناً كثير النخل مع ما يحتاجه من الماء لعمل خل يكفي لعامة أهل الحمراء .

=حيـــاة مرضـــية فـــي ولاية الحمراء عن عمر يناهز التسعين في عام ١١٦٠ هـــ (المصدر السابق، ص٢٢-٢٥).

[1]- مـــن ولايات المنطقة الداخلية،تقع في الجزء الشمالي الغربي من الجبل الأخضر،شيدت زمن دولة اليعاربـــة (مسيرة الخير "المنطقة الداخلية "،مصدر سابق،ص٦٠).

[2]- الوقـــف: هـــو مـــنع التصرف في رقبة العين التي يمكن الانتفاع بـــها مع بقاء عينها وجعل المـــنفعة لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء (محاضرات في الوقف،محمد أبو زهرة،دار الفكر العربي،ط١٩٧١،٢م ،ص٧).

[3]- الأثـــر: هـــو مصطلح عماني في تقسيم مياه الأفلاج ويساوي نصف ساعة (البيان في بعض أفلاج عمان، الشيخ بدر بن سالم بن هلال العبري،بدون تاريخ،ص٤٨) .

[4]- هـــي إحـــدى ولايـــات مـــنطقة الظاهرة،تبعد عن عاصمة سلطنة عمان مسقط حوالي ٣٥٠ كلم،وتـــتكون مـــن ١١٨ قـــرية تقريباً (مسيرة الخير "منطقة الظاهرة "، مصدر سابق،١٩٩٥م ، ص٣٢).

٤- وما يفضل من ثمر ذلك البستان من الخل أوقفته لمسجد الصلف في بلدة الحمراء لفطرة الصائمين ،ولإصلاح مسجد الصاروج أيضا[١].

لقـــد امتثـــلت هذه المرأة الفاضلة لنصيحة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حين كان يكثر من أمر النساء بالصدقة ويحضهن عليها، وذلك في قوله ﷺ : ((**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع بـــه ، أو ولد صالح يدعو له**))[٢] والوقف هو عين الصدقة الجارية .

[١] - تبصرة المعتبرين في سيرة العبريين، مصدر سابق، ص٢١ .

[٢] - رواه ابن ماجه في المقدمة٢٠ باب ثواب معلم الناس الخير ٢٤١، ورواه أبو داود في كتاب الوصايا ١٤.

عائشة الريامية

إن الإنسان ليقف مبهوراً أمام سيرة هذه الفقيهة العابدة التي استطاعت أن تتبوأ درجة من العلم ، حتى أصبحت فقيهة يفد إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب ليستفتوها فيما أشكل من أمور الدين، وغمض من أحكام الفقه ، فهيا بنا نتعرف على هذه العالمة الفقيهة .

هي عائشة بنت راشد بن خصيب الريامية البهلوية، سكنت حارة الغاف من بهلا[1]، عاشت في عصر اليعاربة في أواخر القرن العاشر، وبداية القرن الحادي عشر الهجري، وقد عاصرت ثلاثة من أئمة عمان وهم: الإمام بلعرب ابن سلطان بن سيف اليعربي [2]، والإمام سيف بن سلطان اليعربي[3]،

---

[1]- إحدى ولايات المنطقة الداخلية بعمان وتجاور نزوى والحمراء وتعد من أهم المواطن الأثرية في عمان لما بها من القلاع والحصون والسور الضخم الذي يحيط بها ويحميها (مسيرة الخير"المنطقة الداخلية "، وزارة الإعلام بعمان، ١٩٩٦م، ص٤٨ ــ ٤٩).

[2]- الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف اليعربي: بويع بالإمامة عام ١٠٩١هـ اتصف بالشيم الطيبة والفضائل الجميلة، بنى حصن جبرين ليكون مدرسة تخرج العلماء، عاش في الإمامة إلى ١١٠٤هـ وكانت إمامته ١٣سنة (غرس الصواب في قلوب الأحباب، مصدر سابق، ج١٠، ص ٢٦ ــ ٢٧).

[3]- الإمام سيف بن سلطان بن سيف اليعربي :بويع بالإمامة عام ١١٠٤هـ ولقب بقيد الأرض جهز الجيوش واستعد للحوادث وأعدجيشه بستة وتسعين ألف حصان ودخل بها أرض الهند، فاجتاح ساحلها ووصل رأس الرجاء الصالح،وعمر الكثير من الأفلاج بعمان توفي رضي الله عنه يوم الجمعة لثلاث خلت من رمضان عام ١١٢٣هـ وكانت إمامته ١٩ سنة (المصدر السابق، ص٢٧).

والإمـــام سلطان بن سيف الثاني[1] [2]، اتصفت هذه البرة الرضية بالزهد والورع والـــتقى، وقد تتلمذت على يد كبار المشايخ والعلماء في عصرها، وقد أعطاها الله قـــوة في الذكاء، وعمقاً في الفهم، فاشتهرت بقوة علمها وغزارة اطلاعها، وبرزت في مجال الفتوى والفقه .

وبالإضافة إلى مكانتها العلمية فقد كان لها دور سياسي جسيم، حيث يذكـــره عـــبدالله الطائي بقوله: (ولقد شاركت هذه العالمة الجليلة في توجيه الحكـــم في عصر اليعاربة في عمان، فبعد أن خرج سيف بن سلطان على أخيه الإمـــام بـــلعرب طالباً توسيع النفوذ الخارجي ومطاردة البرتغال، في حين اهتم أخـــوه بالإصلاحات الداخلية، تمكن سيف من الاستيلاء على الحكم بعد وفاة أخيـــه في الحصن الذي حوصر فيه، فبويع من قبل الكثيرين إلا أن الشيخة بنت راشد رفضت مبايعته، وأصرت على أن يلزم بيته أولاً، وأن يبتعد عن الحكم، ثم يـــنظر في ذلك من قبل أولي الرأي في البلاد، و لم يستطع سيف أن يعارض هذه المـــرأة فـــيحدث لعهده ثغرة بعدم انتخابـــه ، فترك مقر الحكم فعلا ولزم بيته يومـــين، حتى أرسلت هذه المرأة المسلمة إليه، وناقشته بجانب جماعة من أعيان الـــبلاد في مخالفـــته لأخيه ثم بايعته على أساس الجهاد والعمل على الإصلاح،

---

[1] – الإمـــام ســـلطان بن سيف بن سلطان اليعربي: يعرف بسلطان بن سيف الثاني بويع بالإمامة عـــام ١١٢٣هـــ أقبل على عمران عمان وهمَّ أن يجعل عمان كجنتي مأرب، وتوفي في جمادى الآخرة عام ١١٣١هـــ، وكانت إمامته سبع سنين وتسعة أشهر (المصدر السابق، ص٢٧ ــ ٢٨).

[2] – معلومات تفضل بـــها عليّ أحمد بن ناصر بن سعيد البيماني، غير منشور .

وبذلك عاد إلى ممارسة الحكم، وأصبح من بعد في طليعة أئمة عمان حتى سمي بقيد الأرض لسعة نفوذه)[1].

وقد جُمّعت فتاواها في مجلدين تحت اسم جوابات الشيخة عائشة[2]، ولعل لها مؤلفات أخرى في مجال الشريعة الإسلامية، ولكن للأسف فإن مؤلفاتها تلاشت، وكانت هذه المؤلفات توجد بالمكتبات في ولاية بهلا كأمثال مكتبة آل معد، ومكتبة آل مفّرج، ومكتبة الشيخ سالم بن راشد بن ربيعة العوفي الذي كان يسكن حارة الحدّاد بولاية بهلا، وروى جواباتها بعض العلماء مثل العلامة جميل بن خميس السعدي في كتابه "قاموس الشريعة"، وذكر فيه أنه قد أدركها وحفظ عنها[3].

ونقل بعض جواباتها في كتابه المذكور منها ما نصه :

(عن الشيخة ابنة راشد للضيف إذا كان أكله وحده أكثر مما أن لو كان رب الطعام حاضرا عنده استحيا منه أو تضيعا لأدب ومذهب أيسعه ذلك، ويكون سالما أم لا ؟

---

[1]- دراسات عن الخليج العربي، عبد الله بن محمد الطائي، مطبعة الألوان الحديثة، ط١، ١٩٨٣ م، ص٣٣٤ .

[2]- موسوعة السلطان قابوس للأسماء العربية، أعلام عمان، إشراف محمد بن الزبير، المطابع العالمية، مسقط عمان، ط١، ١٩٩١م، ص١١١ .

[3]- قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، جميل بن خميس السعدي ، تحت إشراف وزارة التراث القومي بعمان، دار جريدة عمان للصحافة والنشر، روي، ط١٩٨٤،١م، ج٨، ص٣٦٥ .

الجـــواب: إنه يأكل معه على أي حال ، وأما في حسن الخلق فلا يأكل معه إلا أن يكون من الكبراء ، والله أعلم)[1] .

وليـــس بعجيـــب إذن على امرأة بلغت درجة الفتوى أن تكون مهتمة باقتناء الكتب، ومما يؤيد ذلك اطلاعنا على مخطوطة لكتاب المحاربة للشيخ بشير بن محبوب بن الرحيل رحمه الله - وقد كتب في آخر المخطوطة: (كتاب المحاربة " للشـــيخة التقية الرضية المرضية العالمة الزاهدة عائشة بنت راشد بن خصيب الـــريامية البـــهلوية) وهذا الكتاب يقع في أربعة وثمانين باباً، تتضمن أبواباً في العقيدة الصحيحة كالولاية والبراءة وما لا يسع جهله وما يسع جهله وغيرها، وأبوابـــاً في الفقـــه كالحج والتوبات وغيرها، وأبواباً في العلم وأهميته، وأبواباً أخـــرى مـــتفرقة كالإمامة والجهاد والدعاوى والقذف وذكر بعض الطوائف الضالة وغيرها من الفروع المهمة في الدين .[2]

و لم تكتف الشيخة عائشة باقتناء الكتب التي يصعب امتلاكها في ذلك الوقت فحسب، ولكنها رأت أيضا أن نسخ الكتب له أهمية بالغة في حفظها من الاندثـــار، وذخـــراً للأمة عند تقلب الدهور والأزمنة وبقاءً للعلم، فطلبت من مسعود بن راشد بن حرمل بن مرشد المعمري الخروصي نسخ كتاب جوابات الشيخ أحمد بن مدّاد التروي الذي هو من علماء القرن العاشر، وتم الانتهاء من

---

[1]- المصدر السابق، ج١١، ص ٦ .

[2]- مخطوطـــة كـــتاب المحاربة للمؤلف بشير بن محمد بن محبوب بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة، ملكاً للعالمة عائشة الرياميـــــة، رقم ٩٤١.

نسخه ليلة الخميس لثمان ليال بقين من شهر رمضان عام ١١٢٨هـ[١]، وفي مخطوط بيـــان الشرع الجزء الرابع عشر، ذكر الناسخ بأنها نسخة للفقيهة العالمة عائشة الريامية، وتم الانتهاء من نسخه في الثامن عشر من ربيع الثاني من عام ١١٢٨هـ[٢].

ولقـــد كـــانت في عصـــرها - عصر اليعاربة- نساء أخريات غيرها، اشـــتهرن بالعلم[٣] فما أعظمه من عصر انتشرت بـــه تلك العالمات ليكن قبسا تـــرجع إليهن كل فتاة فيما أشكل عليهن في أمور دينهن ودنياهن ويكن شعلة تنير الطريق أمام كل فتاة تحب العلم وتسعى إليه.

توفيـــت العالمة الجليلة عائشة الريامية في عصر الإمام سلطان بن سيف الـــثاني، بعد عمر قضته في كفاح من أجل العلم والدين، ودفنت ببـــهلا شمال الطـــوي الواقعة بمساجد العبّاد عليه لوح من الرباب مكتوب فيه اسمها وتاريخ وفاتـــهـــا، ولا يـــزال قـــبرها معـــروفاً ولكن مع مرور الزمن تلاشى تاريخ وفاتـــها[٤]، ولكن اسمها لا يزال محفـــوراً في ذاكرة الأجيال يتناقله الأبناء عـــن لآباء، وقد سميت مدرسة ببـــهلا باسمها تخليداً لذكراها العطرة[٥].

---

[١] - من بحث أحمد بن ناصر البيماني السابق ذكره .

[٢] - مخطوط لكتاب بيان الشرع، الجزء ١٤، لمؤلفه الشيخ محمد بن إبراهيم الكندي، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي برقم ١٤ /١ .

[٣] - الزمرد الفائق في الأدب الرائق،مصدر سابق، ج٣،ص٢٧٦ .

[٤] - المصدر السابق ص٢٧٦ .

[٥]- واسم هذه المدرسة عائشة الريامية الثانوية للبنات في محلة المعمورة بولاية بـــهلاء .

راية البيمانية

نشأت هذه المرأة الفاضلة في مدينة الرستاق[1] ، تلك المدينة التاريخية التي خرجّت العلماء والأئمة والأبطال، فقد كانت الرستاق في وقتها تعد عاصمة ثانية بعد نـــزوى نظرا لأهميتها الاستراتيجية .

وعايشت راية البيمانية عصر اليعاربة ذلك العصر الذي كان من أزهى الفـــترات التي عاشتها عمان، فترة امتلأت بالازدهار الاقتصادي والعلمي، ومما ســـاعدها عـــلى ذلك قيام أسسها وبنيانـــها على أحكام كتاب الله عز وجل ومنهج الرسول ﷺ والتزام مبدأ الشورى في جميع الأمور .

اهـــتمت رايـــة البيمانية بنسخ الكتب بنفسها، وما ذلك إلا دليل على اهتمامها الواضح بالعلم، فقد أدركت بثاقب بصيرتـــها أن الكتاب هو الصديق والمؤنس ، يرجع إليه الإنسان فيما أشكل عليه من أمور الدين والدنيا، ويقتبس من خلاله الثقافة والعلم بإصول الدين وفروعه .

وما تزال بعض الكتب التي نسختها باقية إلى الآن مثل:-

١. كتاب بيان الشرع، الجزء الرابع عشر، للعلامة محمد بن إبراهيم الكندي، وقد انتهت من نسخه بتاريخ ٢ من ذي الحجة عام ١١٠١ هـــ [1] .

---

[1]- هي واحدة من ولايات الحجر الغربي بمنطقة جنوب الباطنة، وهي تبعد عن عاصمة سلطنة عمان مسقط بحوالي ١٦٠ كلم، يبلغ عدد سكانها ٦١ ألف نسمة يعيشون في ١٧٠ قرية، وكانت الرســـتاق عاصـــمة لـــلدولة فـــي عهـــد الإمام ناصر بن مرشد اليعربي والإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي (مسيرة الخير "منطقة الباطنة "مصدر سابق،١٩٩٥م ،ص٣٥،٣٤).

٢. كتاب كشف الغمة وبيان اختلاف الأمة، ولم يذكر مؤلفه، وهو مخطوط يتضمن مسائل في أصول الفقه كما يتضمن عدة مواعظ نثرية وشعرية بأسلوب جميل، وقد أتمت نسخه بتاريخ ١٧ من ذي الحجة عام ١١٢٢ هـ[٢].

[١]- مخطوط بيان الشرع، الشيخ محمد بن إبراهيم الكندي، ج١٤، بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي برقم (١٤ / ٥) .

[٢] -مخطوط كشف الغمة وبيان فرق الأمة، المؤلف سرحان بن سعيد الأزكوي، بمكتبة السيد محمد البوسعيدي برقم (ك / ١٠٥) .

مـــامـــاستيّ

هذه الأم الكريمة من الأمهات اللاتي بذلن مجهوداً مضنياً في سبيل العلم الصـــحيح وتأصيل المعرفة الإسلامية العلمية، فمن هذه الأم القدوة؟ إنها والدة قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، واسمها مامّا ستيّ وهي ابنة الحاج ســـعيد بـــن عدون، ورثت من أسرتـــها الذكاء والعلم والفضل، فكان جدها وعمها وأخوها من العلماء الأفذاذ الذين نبغوا في عصرهم[1]، اتصفت ماما ستي بـــالورع والتمســـك بالدين، ونشأت محبة للعلم والعلماء، تعرف فضل العلماء ومكانـــتهم وقدرهـــم، وأن العلم أنفس شيء في الوجود، تزوجت من السيد الصـــالح الحـــاج يوسف[2]، وكان ذا أثر بليغ فيها، فقد رسخ فيها ما ورثته من أسرتـــها من حب العلم والدين والحماس للنهضة الحديثة وقوّاه، ولقد رزق الله هذا الزوج نعمة الذهاب إلى حج بيت الله الحرام، وبعد طوافه نام فرأى رسول الله ﷺ في مـــنامه يدنو منه باسماً متهللاً، ويكتب شيئا في ظهره فاستفاق الحاج يوســـف، وقلبـــه يغمره الانشراح ، فلما رجع إلى وطنه استقبلته زوجته ماما ستي في حبـــها وحنانـــها وأشواقها فحدثها بالرؤيا، فاستبشرت، ثم حملت بعد

---

[1] – نـــهضة الجزائر الحديثة، مصدر سابق، ج١، ص٢٩٥ .

[2] – الســـيد الحاج يوسف أطفيش : كان شخصية بارزة في زمانه ومن أعيان وقته اشتهر بالذكاء والصـــلاح والـــثقافة والشجاعة وحب العمل وقد نال حظا لا بأس بـــه من العلم وزاد من ثقافته مجالســـته للعـــلماء كأمـــثال العـــالم عبد العزيز الثميني ومداخلته للمثقفين في عصره (نـــهضة الجزائر الحديثة،مصدر سابق،ج١،ص٢٩٤).

مدة قصيرة بالولد السعيد، وبعد ولادته كان كما تمنيانه غلاماً جميلاً قوي البنية تبدو على نظراته وسيماء وجهه آيات الذكاء والنبوغ وعلامات الصلاح والنجاح، وأسمياه محمداً تيمناً وتبركاً بالرسول ﷺ، وتمنيا من الله أن يكون ولدهما في مصاف العلماء .

وكان لا يرى الطفل محمد أباه بعد رجوعه من العمل أو المسجد إلا بين كتبه يقرؤها، فنشأ الطفل الصغير محباً للكتب تواقاً للمعرفة، وما يكاد يبلغ محمد الخامسة من عمره حتى يرى والده محمولاً على الأعناق إلى المقبرة، فارتاع وسفح الدمع الغزير، ولكن أمه ماما ستي أخذت تحنو عليه وتبالغ في الحنو وتكفكف دمعه، وتعوضه برعايتها وحسن تربيتها وتوجيهها ما فقده من حنان أبيه ورعايته.

وكانت الأم ترقب تصرفات ولدها، فترى حبه للعلم منذ نعومة أظافره لدرجة أنه لا يكاد يجد ورقة مكتوبة في الشارع أو في الدار، إلا يأخذها ويراها أعز ممتلكاته، وكان في ألعابه يقلد أصوات القراءة متلذذاً بها، فأيقنت الأم بأن نجاحه لا يكون إلا في العلم وأن الله قد حقق آمالها وآمال أبيه فوهبها هذا الولد الذكي، وأورثه الشغف بالعلم والقراءة منذ صباه، وآلت أن تصارع الدهر والحاجة وتترك ابنها يتعلم حتى ينبغ[1].

[1] - المصدر السابق، ج١ ص٢٩٤ ـ ٢٩٩ (بتصرف).

كانت ماما ستي حصيفة العقل، قوية الشخصية، عالمة نشيطة، تثبت في وجـــه الحياة المكشرة العابسة، فقد كان زوجها المتوفى مع حبـــه للعلم وأهله، تاجراً إلا أنه لم يتفرغ للتجارة وبالتالي لم يحقق ثراءً يذكر ، فعندما توفي لم يترك لابـــنه وزوجته سوى دار يسكنونـــها، وثلاث نخلات، ومالٍ يسيرٍ سرعان ما نفد[1]، ولكنها بحسن تدبيرها اعتمدت على منسجها، وبراعتها في النسج، فعالت نفســـها وابـــنها ولولاهـــا لاتجـــه ابنها اتجاها ماديا يودي بنبوغه كما أودى الفقـــروالجهل بنبوغ كثير من اليتامى وأبناء الأمهات الجاهلات[2]، وقد عهدت بولدهـــا إلى أحـــد المؤدبين فحفظ القرآن، وختمه وأتقن حفظه وهو ابن ثمانِ ســـنوات[3]، وقتها انتشت الوالدة باستظهار ولدها للقرآن الكريم، وكان ذلك اليـــوم أعظـــم عـــرس لها في الحياة، وقد أولمت له، وامتلأت دارها بالمهنئات، وأسرع إليها أقاربـــها يباركون للطفل و يهنّؤونها، وأسرع الطفل بعد ذلك إلى دور العـــلم يـــزاحم بالركب زملاءه في حلق العلم، وأظهر ميلاً قوياً لحضور مجـــالس العـــلماء حـــتى إنه حين وصل العشرين من عمره كان يعد من أكابر العلماء، فقام بدور رائد في إحداث نهضة علمية في بلده وتخرج على يديه كثير

---

[1]- أضواء على بعض أعلام عمان قديما وحديثا، مصدر سابق ، ص٤٢.

[2]- قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش، بكير بن سعيد أعوشت،مكتبة الضامري للنشر والتوزيع،ط١٩٨٨،١م ، ص٦٣ (بتصرف) .

[3]- الفكر السياسي عند الإباضية آراء الشيخ محمد أطفيش، مصدر سابق ، ص١٠٣ .

من طلبة العلم، كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر وتصدى للبدع في عصره[1]، ثم لقب بقطب الأئمة عن جدارة، فحقق به وصف الشيخ الخليلي حين يقول: (كان رحمه الله أمة في فرد وفرداً في أمة فقد جمع بين العلم والعمل)[2]، فهنيئاً لمامـا ستي التي كانت هي السبب بعد توفيق الله ﷻ في اتجاه القطب إلى العلم، فقد دلت ابنها على طريق الفوز والنجاة ورتبة الشرف في الدارين: الدنيا والآخرة، ولها من الأجر -إن شاء الله- بعدد ما قدم الشيخ من حسنات وأعمال صالحة .

[1]- نفحات من السير، بكير سعيد أعو شت، المطابع العالمية، عمان روي، ط١، ١٩٩٤م، ص ١١٠.

[2] - قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش، بكير سعيد أعوشت، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٨م، ص ٩(من كلمات الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي السلطنة في المهرجان الثقافي لذكرى القطب سبتمبر ١٩٨١م).

أم الشيخ صالح بن علي بن ناصر الحارثي

يقـــول الرســـول ﷺ: ((**تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم**))[1] على هذا المبدأ اختار الشيخ علي بن ناصر الحارثي زوجته، وهي ابنة الشـــيخ عـــلي بن سعيد الحضري الحارثي، فإنه كان معه يوما في غارة ضمن الحروب الدائرة في ذلك الوقت، فأعجب بشجاعته وإقدامه وفطنته؛ فأضمر في نفســـه إن كان له بنت ليخطبها ويتزوجها لأنه لا شك أن ولدها سيكون نجيبا ذكيا.

وســـارت الأمور كما يشتهي فها هي بعد زواجه منها تنجب له ولداً أسمـــاه صالحاً[2]، واهتمت هذه المرأة اهتماماً بالغاً بـــهذا الابن رغم إنه كان لها ولـــد مـــن زوج سابق لم ينل نفس الرعاية والاهتمام الذي ناله صالح، وحين ســـئلت عن سر ذلك، أجابت أن صالحا ستكون عليه مسؤولية لا تكون على أخيـــه، وذلك لأن أباه شيخ قبيلة بعكس الابن الآخر، ثم إنها جلبت له مرضعة

---

[1]- رواه ابن ماجه باب النكاح ٤٦،والبخاري باب النكاح ١٢ ، ٣.

[2]- الشيخ صالح بن علي بن ناصر الحارثي: ولد ببلدة المضيرب عام ١٢٥٠ هـ، درس القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية في فترة طفولته على يد نخبة من المعلمين ببلدة القابل، تتلمذ على يد العلامـــة ســـعيد بن خلفان الخليلي ثم سافر إلى زنجبار وتعلم هناك علم الصرف وبرع فيه حتى صـــار علماً من علماء أهل عمان، وقف عمره على الدفاع عن حرمات الدين لا يعرف الخمول فيـــه موضعا والتردد على إقامة الحق مقاما، كان كريما لا يبالي في الإنفاق، وكان منصورا بعيد الهمـــة عالي الصيت ، وتوفي ﷺ شهيدا، وكان ذلك عام ١٣١٤ هـ (أضواء على بعض أعلام عمان قديما وحديثا،مصدر سابق،ص٥٩-٦٠) .

معروفة بطلاقة اللسان وقوة المنطق[1]، وقد سئلت عن ذلك أيضا فأجابت: (إن هذا الولد سيخاصم ويخاصم، فإن كان لا يعرف أن يتكلم فكيف يبز خصمه) فصدقت فراسة أمه في كل ذلك، فأصبح الشيخ صالح من بعد ليس رئيساً على قومه فحسب بل أكسبه جهاده وصلاحه طاعة القبائل الأخرى، ولقد كان تأثير حليب تلك المرضع طلاقة في اللسان وقوة في الصوت فكان ذا صوت جهوري يُسمع من بعيد[2].

وهكذا يلوح ذكر هذه الوالدة كلما ذكرت سيرة وصفات الشيخ المجاهد الشهيد صالح ابن علي عليه رحمة الله ورضوانه .

[1] – أضواء على بعض أعلام عمان قديما وحديثا، مصدر سابق، ص٥٩ .

[2] – اللؤلؤ الرطب في ابراز مستودعات القلب، مصدر سابق، ص٩٥ .

ستّي بنت عمر نتموسني

نشأت هذه المرأة الفاضلة في بيت علم وأدب، فكان أبوها العالم الجليل عمر نتموسني، رباها على أسس التقوى والعلم، ولقد بذل والدها ماله في اقتناء الكتب النفيسة النادرة، وكان أغلبها مخطوطاً لا يظفر بها إلا العلماء الكبار وبأغلى الأثمان، اتصفت السيدة ستّي بالذكاء البارع، وشجعها وجود مكتبة والدها على الاطلاع الواسع في فنون العلم المختلفة حتى أصبحت ذات ثقافة عالية، وعندما توفي والدها العالم الجليل عمر أحست بالغيرة على كتب أبيها؛ فبذلت كل جهد للحصول عليها فكانت هي نصيبها من ميراث أبيها ولعلها قد اشترتها من الورثة .

وعندما توفي زوج السيدة ستّي خطبها قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش فرضيت به، وكان بعض الجهلة الحاسدين من قومها يناصبون القطب العداء، ويتخذون كل وسيلة لحرمانه من الاستفادة من خزانة كتب خاله، فكان زواجهما سراً لا يعلمه إلا الخاصة خوفا من الجهلة الغلاة من قومها، وفي اليوم الأول من الزواج استبقى القطب تلامذة غرداية، وضَّيفهم في دار السيدة ستّي، فدخلوها ووجدوها مفروشة بأحسن الفرش، مبخرة، فقدم إليهم الطعام، وبعد الطعام كلمتهم السيدة ستي من وراء ستار فرحبت بهم، وأخبرتهم بزواج الشيخ منها فهنؤوهما، ثم قالت: (لقد اخترتكم أنتم تلاميذ غرداية لكتمانكم للسر لتشهدوا، ألا فاشهدوا أنني قد وهبت خزانة الكتب،

وهـــذه الـــدار، للقطب فهما ملك له، وستُكتب وثيقة الملك لتشهدوا فيها) وكـــانت خـــزانة كـــبيرة من الكتب، ووهبت له أيضاً بعض أثاث الدار القيم رحمهما الله ، قال الشيخ بهون: (ورزق الله القطب لإخلاصه وورعه وعمله لله ثـــلاث أشياء نفيسة: الزوجة الصالحة الوفية، وخزانة الكتب، ودار في أحسن وأغلى حي في بني يسجن)[1].

[1] – نـــهضة الجزائر الحديثة، مصدر سابق، ج١، ص٣٠٤ ــ ٣٠٥ (بتصرف).

عائشة بنت الناصر محرزي وابنتها

ولدت هذه المرأة المسلمة الصالحة بمدينة بريان في ولاية غرداية بالجزائر في القرن التاسع عشر الميلادي، و ترعرعت في بيئة صالحة طاهرة مفعمة بالإيمان القوي وحب العلم ،و قد غرس والداها فيها حب العلم والمعرفة والتفقه في العلوم الشرعية بحيث كانت تتردد على الكتاتيب القرآنية النسائية، فحفظت القرآن الكريم و أحاديث نبوية شريفة وعدة متون دينية .

فنشأت مثقفة ورعة قوية الشخصية ذكية حافظة لا تكاد تنسى شيئاً مما تسمعه، وكانت تتشرب دروس العالم الجليل القطب[1]، وتحفظ أحكام النساء في الدين فتعظهن وتفتيهن، وكان القطب يجلها لأثرها العميق في نساء بريان، ويعدها من أكبر تلميذاته، ولما هرمت وصارت لا تستطيع زيارة القطب صار هو يزورها في دارها وفاء لها، وتقديراً لجهودها ، وقد اختار مجلس العزابة هذه السيدة الكريمة لتكون كبيرة العزابيات في بريان لعلمها وكفاءتها في تسيير ذلك المجلس الديني ، لقد كانت هذه المرأة داعية تعيش من أجل نشر مبادئ الحق وتعاليم الإسلام السمحة، حتى تخرجت على يدها الكريمة العالمات الصالحات اللاتي برزن بدورهن الرائد في بيوتهن ومجتمعهن .

عاشت هذه العالمة حياة ملؤها جهاد ونضال في الحق، حتى توفاها الله تعالى عام ١٩٠٤ م .

---

[1]- سبق التعريف به في شخصية أمه ماما ستي ص٦٠.

وإذا كانت هذه سيرة السيدة الفاضلة العالمة عائشة، سيرة علم وتقوى وجهاد من أجل الدعوة ، فقد أخذت منها ابنتها علمها وصلاحها، فكانت من المثقفات الفاضلات وكانت كأمها لها ذاكرة قوية تسمع الدروس الطويلة فتحفظها وتعيدها، وكانت من المواظبات على حضور دروس القطب فكانت حريصة على فهمها لهذه الدروس القيمة والإلمام بها حتى بزغ دورها في الدعوة ، فكانت تجتمع بالنساء وتحفظهن مما حفظت من دروس القطب، فتخشع القلوب، وتسيل الدموع، وتحدث النساء عن عذاب القبر والحساب والعقاب بين يدي الله والنار وأهوالها في الآخرة، فتخرج النساء من المجلس وقد أحسسن برقة في القلب وخشية ورهبة ، واهتمت بالشؤون الاجتماعية في بلدها "بريان "، فكانت ترى أنه إذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وكانت تسعى بالصلح بين الأزواج وبين المتخاصمين في العائلات، لا تسمع بنشوز في عائلة مر معارفها إلا وتسرع فتعظهن بصوتها الخاشع المؤثر المؤمن بما سمعت من القطب، فتطفيء النيران وتزرع المحبة وتحل المشاكل التي تكدر صفو العائلة، ولما توفيت انطفأ نبع غزير من النور ومصدر عظيم للصلاح والدين يرحمها الله[1].

[1]- نهضة الجزائر الحديثة، مصدر سابق، ج١ ، ص٣٤٦ ــ ٣٤٨.

سليمة الصقرية

هـــي ابنة الزاهد الورع الشيخ سعيد الصقري، نشأت في كنفه، فكان مدرســـتها الأولى التي درست فيها الفضائل والآداب الكريمة، فاتصفت بالحلم والـــزهد والأخلاق الرفيعة، ثم شاء لها القدر السعيد أن تقترن بالإمام المحتسب الشـــيخ صالح بن علي الحارثي[1]، فكان مدرستها الثانية، فصارت سنداً وعوناً لـــزوجها الصالح، وكانت تعرف قدر الناس وتنـــزلهم منازلهم، تأثرت في ذلك بأبيها وزوجها، ولقد تبوأت مكانة عظيمة في قلب زوجها الصالح التقي الذي كـــان لا يســـتغني عنها لثقته الكبيرة فيها، ولكن بالرغم من ذلك فقد حصل بيـــنهما مـــا قد يحصل بين أي زوجين من خلاف، وسوء فهم، فرأت أنه من المناسب أن تذهب إلى بيت أهلها إلى أن تـــهدأ الأمور، فأحس الإمام بالفراغ الكـــبير الـــذي تركـــته زوجته، وبحاجته الملحة إليها في بيته ونفسه، فبادر إلى استرضائها فلم تمتنع وعادت إلى بيتها كأفضل ما تكون الزوجة الصالحة .

وكان لها فضل في إنقاذ حياة زوجها الإمام من الهلاك، حين أهداه أحد أعدائـــه عباءة مسمومة فأوجست منها ريبة ونصحته بأن لا يلبسها، وقد أخذ الشـــيخ بنصيحتها وقد جربت الزوجة الصالحة هذه العباءة على قطة فماتت، وأصبحت هذه الواقعة يضرب بـــها المثل (أقطع من سم البشت) .

---

[1] _ سبق التعريف به في شخصية أم الشيخ صالح ،ص٧٩.

ورزقها الله عز وجل من زوجها الإمام ابناً وثلاث بنات، وهم عيسى، وعزيزة، وشمسة، وعائشة، فبذلت الأم الصالحة نفسها ووقتها من أجل تربيتهم على المبادئ السمحة وعلى العلم والصلاح وأحسنت تربيتهم، فنبغ من أبنائها عيسى[1] الذي أصبح بعد وفاة والده شيخاً لقبيلة الحرث[2] .

[1] - عيسى بن صالح بن علي الحارثي هو بحر العلم الزاخر الضابط الحافظ ، لازم الدرس والاجتهاد ثم رابط على الجهاد، نشأ في حجر أبيه الصالح وأخذ مبادىء علوم النحو والمعاني والبيان، وأكب على التعليم، وكان أحد تلامذة الشيخ نور الدين السالمي، قام بعبء المسؤولية بعد وفاة والده، وكان وجيها بين الناس لحسن سيرته وسخاء نفسه،جمع شعث المسلمين وحثهم على الاجتماع، من مؤلفاته الرد العزيزعلى أحكام أهل الدريز ،وله مجلد ضخم يحوي أجوبة ومسائل في مختلف الفنون،توفي رضي الله عنه عام ١٣٦٥هـ ودفن في بلدة القابل (نهضة الأعيان بحرية عمان،محمد شيبة بن نور الدين عبدالله السالمي، دار الكتاب العربي، مصر،بدون تاريخ،ص٨٧-٩٥).

[2] - أضواء على بعض أعلام عمان قديما وحديثا، مصدر سابق، ص٦١ .

شمسة الخليلية

ترى هل يكفي لنعرّف هذه الشخصية أن نقول إنـــها ابنة العالم الرباني المحقق مجدد القرن الثالث عشر شيخ الإسلام سعيد بن خلفان الخليلي[1]، أم نقول إنـــها زوج الإمام عزان بن قيس البوسعيدي[2]، أم نذكر أنـــها أخت الشيخين أحمد ومحمد ولكن لن نكتفي بـــهذا لنعلم قدرها وشرفها فالنسب والقرابة لا قـــدر لهمـــا في الإسلام إلا بقدر ما يقربان صاحبـــهما من الله عز وجل: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[3]. فهيا بنا نستجلي بعض ملامح شخصيتها وسيرتها العطرة.

ولـــدت الســـيدة الفاضلة شمسة في قرية بوشر بولاية مسقط، تعلمت القرآن الكريم والعلوم الفقهية والأدبية، في ذلك البيت المسلم بيت العلم والفضل والـــتقى، فترعرعت محبة للعلم، ساعية في تحصيله، ومما ساعدها على ذلك ما

---

[1] – الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي: ولد في بلدة بوشر من ضواحي مسقط عام ١٢٣٠ هـــ، وفي فـــترة صباه درس الفقه والحديث على يد شيخه ناصر بن أبي نبـــهان، كان مولعا بعلم الأسرار والخـــلوات الإلهية، وأصبح بعد ذلك عالما يتجه إليه علماء عصره ليستقوا من بحر علمه، ومن مؤلفاتـــه لطائف الحكم في صدقات النعم وكتاب التمهيد وغيرها، توفي رضي الله عنه شهيدا عام ١٢٨٧هـــ (أضواء على بعض أعلام عمان قديما وحديثا، مصدر سابق،ص٤٦-٤٧).

[2] – الإمـــام عـــزان بـــن قيس البوسعيدي: بويع بالإمامة في مسقط عام ١٢٨٥هـــ وكان حازما شـــجاعا، قمـــع الفـــتن، وحســـنت ســـيرته فاطمأن الناس في أيامه ومات رضي الله عنه شهيدا برصاصـــة أصـــابته فكـــانت إمامته سنتين وأربعة شهور وخمسة عشر يوما، له كرامات عديدة (غرس الصواب في قلوب الأحباب، مصدر سابق ، ج٦-١٠، ص١٨١) .

[3]- الحجرات ١٣ .

حباها الله من عقل واعٍ، وقلب متفتح، فارتوت من معين والدها الدفاق، حتى بلغت درجة من العلم وأصبحت مرجعا للفتوى وخاصة في مسائل النساء الدينية.

وقد نالت هذه البرة الرضية شرف الاقتران بالإمام الرضي عزان بن قيس، وعاشت معه حياة هانئة سعيدة، ولكن ما يكاد يمضي عام على زواجهما المبارك إلا ويلتحق زوجها الإمام بسلك الشهداء الأبرار[1]، ففجعت بتلك المصيبة كما فجع معها المؤمنون الأحرار بفقد إمامهم وقائدهم ، ولكن كما قيل: (لا دواء كالصبر) وبشر الصابرين.

استشهد الإمام وهي حامل منه فكان مولودها ذكراً ، وقد استشهد زوجها الإمام وهي ما تزال في ريعان الشباب، بل لعلها في العشرين من عمرها أو حول ذلك، وتقدم الصالحون لخطبتها، ولكن من كمثل عزان وطيفه لا يزال أمام ناظريها، فما كان جوابها لهم إلا قولتها المشهورة: (لا رجل بعد عزان)[2]، وفضلت أن تبقى حاملة ذكرى ذلك الإمام الشهيد ، ولا تكاد هذه السيدة الجليلة تستفيق من حر مصيبة فقدان الزوج، حتى تنزل عليها مصيبة أخرى وهي استشهاد والدها وأخيها محمد حين قتلا ظلما وغدراً[3]، ولكن لا

---

[1] – ينظر تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مصدر سابق، ج٢، ص٢٨٠ .

[2] – من محاضرة مسجلة في شريط سمعي ألقاها سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي للنساء في ولاية الحمراء.

[3] – ينظر تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مصدر سابق، ج٢، ص٢٨١ .

حيلة في رد القضاء، وهي وإن كانت مصيبة في حد ذاتـــها، فإن مما يسليها أن أولئك الأخيار إنما دفعوا أرواحهم ثمناً رخيصا لرضوان ربـــهم، وإقامة منهجه على الأرض، فانتقلوا إلى جنات ونـــهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وكـــان لهـــذه الفقيهة البرة يد في علم الأسرار[1]، وقد حباها الله بأموال كـــثيرة ورثتها عن أبيها الشيخ المحقق الخليلي واتصفت بالكرم والسخاء وكثرة التصـــدق عـــلى الفقراء والمساكين، وكانت تساعد ابن أخيها الإمام محمد بن عبدالله الخليلي[2] رحمه الله بـــهذه الأموال من أجل معاونته على الخير والسير في طريق نشر العدل في الأرض، وكانت كثيرا ما ترد إليه الأموال التي كان يبيعها وتشتري الأموال ثم تردها إليه من أجل ذلك[3].

وقـــد ظـــلت هذه المرأة الوفية من غير زواج بعد الإمام عزان أكثر من ثمـــانين عاما حتى وفاتها، وذكر مؤلف كتاب " الزمرد الفائق " الخصيبـــي أنه

---

[1] – الزمرد الفائق في الأدب الرائق، مصدر سابق، ج٢، ص٦٠ .

[2] – الإمام محمد بن عبد الله الخليلي : بويع له بالإمامة عام ١٣٣٨هـــ كان أعلم أهل زمانه، قام بـــالواجب خيـــر قيـــام، وأمّن البلاد وأقام الحدود كما أقامها الأئمة من قبله وعاش مرجعا لأهل عمـــان، أنفق أمواله كلها في عز الدولة وكان ثريا بما خلفه له أبوه، توفي رحمه الله في ٢٩ من شعبان عام١٣٧٣ هـــ (غرس الصواب في قلوب الأحباب،مصدر سابق، ج٦-١٠، ص١٨٢).

[3] – من المحاضرة المسجلة لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي بولاية الحمراء.

أدركهـــا وزارهـــا عام ١٣٥٠ هـــ في ولاية سمائل[١] وكانت صالحة فاضلة[٢]، وعـــندما دنت وفاتـــها رأت الإمام عزان بن قيس رحمه الله في منامها وأخبرها عن العلاقة الزوجية بأنـــها باقية[٣]، وعاشت هذه المرأة الصابرة حتى اختارها الله بقربـــه على أثر ذلك، ودفنت في العلاية بولاية سمائل وذلك في عصر إمامة ابن أخيها الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، رحمها الله رحمة واسعة، وأكثر في نساء المسلمين أمثالها .

[١] – مـــن ولايـــات المنطقة الداخلية ،تحيطها سلسلة من الجبال الشامخة ويلعب واديها المعروف دوراً كـــبيراً في انقسام جبال الحجر إلى سلسلتين سلسلة الحجر الغربي والحجر الشرقي،"تعَّد من أول البـــلدان الـــتي دخـــلها الإسلام على يد الصحابي الجليل مازن بن غضوبة (مسيرة الخير "المنطقة الداخلية "،وزارة الإعلام بعمان،١٩٩٥م، ص٤٢ ــ ٤٣).

[٢]– الزمرد الفائق في الأدب الرائق، مصدر سابق، ج٤، ص٢٢١.

[٣] – من المحاضرة السابق ذكرها .

عائشة العامرية

نشـــأت هـــذه العالمة الفاضلة في القريتين[1] من أعمال إزكي بعمان، في القـــرن الـــثالث عشر الهجري[2] في بيت علم وأدب بين أب وعم فقهاء أعلام، ولقد اشتهرت بسعة العلم والمعرفة حتى كانت مقصد العلماء ولمزيد من التعرف عـــلى صفاتـــها نحيل القارئ إلى رسالة الشيخ عامر بن سليمان الريامي[3] التي أرســـلها إليهـــا وهو من هو في العلم والدين ما يعصمه عن التملق والمبالغة في القول، يقول فيها: (نقية الأصل والفرع، طيّبة الأرض والزرع، خصيبة المرعى، كـــريمة المسعى، نجيبة الخصال، واضعة درر المروءة قبل الفصال، المتسربلة بثوب العفـــاف، المـــتدرعة بمسرودة الكفاف، السالكة منهاج العلم، الراقية شناخيب مـــدارج العـــلم، كريمة عشيرها، ونصيحة مسيرها، وسامية المرتقى، وبقية من بقـــى، ســـيدة المنتقات، المشايخ الثقات بنت مسعود بن سليمان بن سرحه بن

---

[1] – هـــي بلدة من ولاية إزكي ولعله يرجع تسميتها إلى شطريها الشرقي والغربي الذين يفصلهما رمـــال الـــوادي، تقـــع في الجانب الشرقي من ولاية أزكي، تقطنها عدة قبائل، تشتهر بمساجدها الأثرية المبنية على سفوح الجبال (نـــزهة المتأملين في معالم الأزكويين،مصدر سابق، ص٥٨ – ٥٩).

[2] – موسوعة السلطان قابوس للأسماء العربية، أعلام عمان، مصدر سابق، ص١١١ .

[3] – الشـــيخ عامر بن سليمان الريامي: من المشايخ الذين قاموا بنصرة الحق في زمانه وعهده ، ويذكـــر الشـــيخ عامـــر كان يسكن في بلدة النـــزار ، كما إنه كان مرجعا للفتاوى الدينية ، ومن مؤلفاته كتاب درر الملتقى وسلم الارتقا (نـــزهة المتأملين في معالم الأزكويين، يحيى بن محمد البـــهلاني، ص٨٧) .

حرمل بن حمد بن سرحان بن عمر بن سرحان بن محمد بن ناصر بن أبي عامر العامـــرية المضريّة النـــزارية، سلمها الله سلامة سرمدية أبدية، ونجّاها من كل رزيـــة وبلية ووقاها كل مماذق عايق، وكيد كل فاسق منافق)[1] ولقد كان لها آراء وفتاوى رويت عنها في عدة كتب معاصرة لها وتالية[2]، اهتمت هذه العالمة الجليـــلة بنسخ الكتب لما لها من أهمية بالغة في توسيع ثقافة كل طالب علم مثل كتاب المهذب المتخصص في علم الميراث وقد كتبته بخط يدها[3].

ونختم الحديث عنها بمقتطف من رسالة الشيخ عامر بن سليمان الريامي الســـابق ذكرها والتي يقول في مقدمتها: (ولما عز اللقاء، وصعب المرتقى، لم يفـــتر الخاطر، ويقر الناظر إلا بتعريفكم حيث أنتم بقية المؤدين، قال الله تعالى: ﴿ فإخوانكم في الدين ﴾[4]، لا عدمـــنا وجودكم، ولا حرمنا فضلكم وجودكم) وبعدها تكلم عن الدنيا، وكونـــها دار ابتلاء والآخرة التي هي دار القرار فقال: (كـــل شيء لدوران ، وكل حي فان، الدنيا نفعها ضرّا،وحلوها مرا، ونعيمها انـــتقام، وســـرورها أضـــغاث أحلام، ما أجمل من ألْبوس التقوى عند البؤس

---

[1] – مخطوط في علوم متفرقة (كتاب الصلاة، أحاديث نبوية ، قصائد وتفسيرها مع رسالة للشيخ عامـــر بن سليمان للعالمة عائشة المؤلف مجهول في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي برقم ٩٩٩/٢٨، ص٢٦٩ .

[2] – موسوعة السلطان قابوس للأسماء العربية أعلام عمان،مصدر سابق، ص١١١ .

[3] – جريدة عمان، عدد ٤٤١٠، تاريخ ٢١ يونيو ١٩٩٣ م .

[4] – التوبة ١١

الأقـــوى، ولـــو اســـتخبر أهـــل المقابر من السنين العوامر لبدلوا عن الهضائم العظائـــم، والجفاء للأوفاء، ما من رسول ولا نبي إلا أخبر الله عنه بالتنكيل من أهـــل الأبـــاطيل وليحصدوا ثمرة الصبر ويؤدوا لوازم الشكر، أين نحن من لفظ طعامهم، أو تراب أقدامهم مع سوء سريرتنا، وقبح سيرتنا، والحمد لله على كل حـــال فالحيـــاة إلى زوال، فالســـفر ينادي، والأيام رواحل، والشهور مراحل، والطـــرق غـــير مأمونة المخافة، فالعاقل من تأهب للرحلة، وترك عنه تسويف المهـــلة، وتقمـــص بقميص الحق، وتردى برداء الصدق، واعتم بعمامة الإيمان، وتحـــزّم بطاعـــة الرحمن، وتقلد بسيف اليقين، وركب مطية الموفقين، وساقها بعصى السياسة، وأوردها من حياض الكياسة، وأناخها في قنوات النيات، وقرع الباب في ظلمات المدلهمات، على كريم المعطيات غفار الخطيئات، فعسى ولعل تحـــل بـــه أمنع محل في عيش هني، وشراب مري وروضات ورياض، ونـــهور وحياض وموائد وولائد، وقصور وحور، فتلك تجارة لن تبور [1]...).

[1] – مخطوط لعلوم متفرقة ، مصدر سابق، ص٢٧٢– ص٢٧٣ .

نقية بنت عامر بن سالم بن راشد الحجرية

ولـــدت الفاضـــلة الزكية نقية في قرية الواصل[1] من أعمال بدية بعمان، وتزوجت بالعالم الزاهد راشد بن خلفان بن علي الحجري .

درســـت مع زوجها العالم مجالات الدين المختلفة فكان زوجها العالم الزاهد مدرستها الأولى، حتى توفي رحمه الله، فتزوجها إثر وفاته السيد فيصل بن عزان بن قيس البوسعيدي الرستاقي المسكن[2]، ورأت أنـــها بحاجة إلى مزيد من الاطلاع في ما يهمها من أمور الدين، فتتلمذت على يد الشيخين الجليلين راشد وســـالم ابـــني سيف اللمكي[3] حتى اشتهرت بعلمها الواسع وزهدها المنقطع، فأصـــبحت عالمة مقصودة، و اشتهرت بزهدها، وكانت كاتبة زوجها بسبب

---

[1]- إحـــدى قرى ولاية بدية تقع في واجهتها، وتبعد عن مسقط بحوالي ٢١٨ كيلو متر، وهي أول قرية تم إنشاؤها في بدية .

[2] - مخطـــوط الأمهات الصالحات، علي بن سالم بن ناصر الحجري بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي،مخطوط مصور في ملف التراجم والمعلومات،برقم (١/٩) .

[3] - الشـــيخ راشـــد بن سيف اللمكي :ولد في قرية قصرى بولاية الرستاق سنة ١٢٦٢هـــ ،من منطقة الباطنة ،أخذ مبادىء العلم من أستاذه "الشيخ ماجد بن خميس العبري " والشيخين " عبدالله ابـــن محمـــد الهاشـــمي "و"عبدالله بن راشد "، عين إمامًا للمسجد ثم مدرساً ثم قاضياً على ولاية الرســـتاق، تتلمذ على يديه "الشيخ نور الدين السالمي" و "الشيخ حمد بن مهنا اللمكي " وغيرهم ، ألـــف " كتاب المسالك في علم المناسك"، توفي رضي الله عنه عن عمر يناهز السبعين، وكانت وفاتـــه عـــام ١٣٣٢هـــ (أضـــواء عـــلى بعـــض أعـــلام عمان قديما وحديثا،مصدر سابق ، ص٣٤ ــ ٣٥).

حســـن خطها وجماله حيث كانت تكتب الرسائل للسيد فيصل، وعاشت هذه الـــزاهدة مـــا يقارب الخمسين سنة قضتها في العطاء والبذل، ومن الغرائب أن تـــتوفى هي في الرستاق في بلدة زوجها السيد فيصل، ويتوفى زوجها فيصل في بلدها الواصل ببدية إثر زيارة قام بـــها هناك .

توفيـــت رضي الله عنها عام ١٣٢٠هـــ بمحلة القرن بالرستاق، وقبرها معروف مشهور هناك [١].

[١]- شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، محمد بن راشد الخصيبي، نشر وزارة التراث القومي بعمان، ط٢، ١٩٨٩م ، ج٣، ص٣٣٠ ــ٣٣١ .

مامة بنت عبد العزيز

هـــذه المرأة العظيمة وهبت حياتها لخدمة ديننا الحنيف الاهتمام بالجانب العلمي، ولدت السيدة الجليلة مامة في مدينة مليكة العليا بوادي ميزاب بالجزائر عـــام (١٢٧٠ هـــ/١٨٥٠م) في كنف عائلة مؤمنة مشهورة بالعلم والعمل ، تلقت علومها الأولى في الكُتّاب فحفظت القرآن الكريم عن ظهر قلب، وكانت شغوفة بالعلم فلازمت عدداً من حلقات العلم كحلقة الشيخ محمد بن سليمان، والشـــيخ عمر بن سلمان، والشيخ عمر بعمارة، وغيرهم فأخذت عنهم الفقه وعقيـــدة التوحيد، وحفظت الكثير من المتون الدينية المعروفة آنذاك، والحديث والســـيرة والابـــتهالات، وســـعت إلى حضور مجالس الذكر، ودروس الوعظ والإرشـــاد في المســـجد، وكانت شغوفة بشهود الصلاة مع الجماعة حتى أنها كـــانت تـــدق جدار المسجد من مصلى النساء عندما يخطيء المجلس في التلاوة فتهمس لهم بالآية الصحيحة ليرجعوا إلى الصواب.

ومن هنا ظهر نبوغها واستيعابـــها الواسع للعلوم، حتى غدت علماً من أعـــلام النســـاء في بلادهـــا، فتألق نجمها حتى ارتضاها المشايخ رئيسة لحلقة المرشـــدات في مـــليكة العـــليا، بذلت نفسها وجهدها في نصرة الحق ومقاومة الضلال والجهل، وردع العصاة والمفسدين عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المـــنكر بكـــل شجاعة وإخلاص، اهتمت بالأطفال الصغار فدرستهم القرآن الكريم، فكان من تلاميذها ممن أصبحوا بعد ذلك قضاة ومؤدبين وعلماء، وبرز

دورهـــا بين بنات جنسها فأخذت تعلمهن القرآن الكريم، وتبصرهن في أمور الصـــلاة والصيام، وحقوق الزوج وغيرها حتى تخرج على يدها كثير من النساء النابغات الصالحات كأمثال مسعودة بنت صالح التي أصبحت رئيسة للمرشدات من بعدها .

حرصت هذه المرأة الكريمة على إرشاد النساء، وتذكيرهن بواجباتـــهن كلما وجدت إلى ذلك سبيلا وخاصة في مؤتمرات " لا إله إلا الله "[1] .

وكان دورها بارزاً في المجتمع فأخذت تعلن الرفض والمعارضة الشديدة أمـــام أي خـــلل تراه يظهر في المجتمع من المسجد أو غيره، حتى قال عنها أحد الأعيـــان وقتها: (إنـــها كانت تقف أمامنا كالجبل الشامخ بالبراءة والهجران سواءً من الرجال أو النساء).

ومن أعمالها الجليلة ترؤسها لمجالس الصلح بين العائلات المتنافرة لإصلاح الصـــدع وإحلال الوفاق بينها بكل إلحاح وإخلاص، مهما كان نوع المشكلة الـــتي فرقت بينها، وكانت كثيراً ما توفق إلى النتيجة المرضية والحل الأعدل بين الطرفين، وفي غمرة هذه الكرامات والصفات النبيلة اختارها الله إلى جنة الخلد تاركـــة وراءهـــا ذكراً طيـــباً، وعملاً متقبلاً صالحاً بإذن الله تعالى، وكانت وفاتـــها عام (١٣٤٠ هـــ /١٩٢٢م).[2]

---

[1] – انظر التمهيد ، ص١٠.

[2] – مسلمات صالحات في روضة الإيمان، مصدر سابق، ص٨٨-٩١ (بتصرف).

عائشة بنت عمر بن سليمان

ولـــدت هذه السيدة الجليلة عام ١٢٧٢هـ في مليكة من ولاية غـــــرداية بالجزائر، كانت أمنية والدها أن يرزق بابنة عالمة في أمور الدين، وعندما ولدت عائشـــة وقبل أن تذوق طعم لبن أمها أشربـــها أبوها غسيل سورة الانشراح، ورباها هذا الشيخ الفاضل بعد ذلك تربية دينية علمية على خلق القرآن الكريم، وبـــذر في نفســـها مبادئ الدين وعلومه الأولية، وكان أخوها من علماء ذلك العصـــر، فاســـتفادت منه في كثير من علومها ، لقد أحبت العلم فأقبلت على حفـــظ القـــرآن الكريم، بعدها طلبت من الشيخ صالح بن عمر العلي أن يقبل انضـــمامها إلى حلقة " إروان " فرفض لأنـــها خاصة بالرجال فقالت له: (ما حجتك أمام الله إذا منعتني؟) وكان من حرصها على طلب العلم أنـــها كانت تنافس علماء زمانـــها وتستزيد منهم العلم، ومن هؤلاء العلماء الشيخ سليمان ابـــن بكير مظهري وغيرهم الكثير[1]، ولقد كان لها من الذكاء والعلم والأخلاق مـــا أهّـــلها أن تكون محط إعجاب العلامة محمد بن يوسف أطفيش؛ فتقدم لها وتـــزوجها، ولقـــد تلقت من زوجها العالم الجليل صنوف العلم المختلفة حتى غـــدت عالمة نابغة ولا سيما في علوم الميراث، كانت عائشة أفضل امرأة لدى الشـــيخ أطفيش، أسعدت زوجها، وجعلته ينصرف إلى العلم بالهدوء المنـــزلي والجـــو العائلي الحسن الذي تحفه بـــه، وأنجبت له ثمانية ذكور ربتهم فأحسنت

[1] – المصدر السابق، ص١٠١ــ١٠٣ (بتصرف).

تربيـــتهم حتى غدوا صالحين مصلحين، وهم وإن لم يرثوا علم والدهم ولكنهم ورثـــوا صلاحه[1]، وكان من حب زوجها لها أن اصطحبـــها إلى حج بيت الله الحرام[2].

ولم تكتف هذه الزوجة المطيعة والمربية الفاضلة بدورها في مجال الأسرة بل تعداه إلى المجتمع المحيط بـــها، فقد كانت تشجع الصبيان والبنات على العلم وتقـــوم بـــإهداء أدوات الكتابة لهم، وفتحت منـــزلها لتعليم البنات والصبيان القـــراءة والكـــتابة، وتحفيظ القرآن الكريم، كما إنـــها اهتمت ببنات جنسها فكـــانت تقوم بالوعظ والإرشاد للنساء في المجالس النسوية، وتفسر لهن القرآن الكـــريم، وتفـــتي لهن في المسائل الدينية الخاصة بـــهن، وكانت حريصة على الاستزادة من العلم عن طريق حضور دروس المشايخ التي يلقونـــها في المسجد.

وفي عام ١٣٥٦هـــ رحلت هذه السيدة الجليلة إلى دار الآخرة لتنعم في جوار الله بجزاء المؤمنات العابدات الصابرات الشاكرات[3].

---

[1] – نـــهضة الجزائر الحديثة، مصدر سابق، ج١، ص٣٨٣ (بتصرف) .

[2] – مسلمات صالحات في روضة الإيمان، مصدر سابق،ص١٠٢.

[3] – المصدر السابق، ص١٠١ –١٠٣ (بتصرف) .

مامة بنت سليمان

لقد قيضها الله تعالى لخدمة الإسلام وأهله فتركت بصماتها على صفحات التاريخ الإسلامي ، لتكون من النساء الآتي شاركن في ركب الحضارة الإسلامية والمضي بها في طريق الرقي والازدهار .

ولدت السيدة مامة بنت سليمان بن إبراهيم عام (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) في مدينة غرداية بالجزائر ، وترعرعت في أحضان عائلة مؤمنة قوية .

أخذت علومها الأولى في كُتّاب المدينة فاستظهرت نصف القرآن الكريم، وأتقنت القراءة والكتابة، وأخذت حظاً من علوم الشريعة، ومبادئ العربية والنحو من بعض مشائخ عصرها كأمثال الشيخ بابكر بن مسعود، والشيخ بهون بن موسى، وزوجها الشيخ يعقوب العزناوت، وابنها الحاج بكير بن عمر، وغيرهم الكثير .

حفظت عقيدة التوحيد، ودرست الفقه من كتاب الإيضاح، والنيل وشرحه، والتفسير من كتاب تيسير التفسير للقطب اطفيش، والنحو من كتاب الأجرومية، والسيرة النبوية، وتاريخ الإباضية، وأما الأخلاق وتهذيب النفس فمن كتاب قناطر الخيرات .

كانت حياتها منارة هدى وإيمان في بيوت التقوى والصلاح، فتحت منزلها لتعليم بنات جنسها القرآن الكريم والعقيدة الصحيحة والعبادات، أخذت توجه النساء وتعظهن في حصص أسبوعية مستمرة وخاصة في شهر

رمضـــان فكانت لنساء بلدها المعلمة المؤمنة والمرشدة الصالحة.

انضـــمت هـــذه الأم المربية إلى حلقة المرشدات بغرداية وترأستها عام ١٣٢٤هـــ فأخذت على عاتقها مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما حـــلت، لا تخـــاف في الله لومـــة لائم ، فهي تعلن البراءة والهجران من النساء المســـتحقات لذلـــك في مقـــرهن العمومي وتعلن العفو عن التائبات كذلك، فأصبحت بمثابة عصبة البلد والعمود الفقري لتماسك العائلات عن أمواج الجهل والفتن المتلاطمة، وذلك من خلال سعيها الدؤوب لإصلاح ذات البين لما لها من قوة في الذكاء، ومكانة في المجتمع، وهيبة في النفوس، وحكمة في الرأي، وكان لها خبرة في سياسة الأمور حتى أصبحت محل استشارة الأعيان والعزابة والقواد، ومـــن خلال مهمتها كرئيسة للمرشدات ألزمت نفسها الإشراف المباشر على تطـــبيق أوامـــر المسجد في الأوساط النسوية بكل حرارة وإخلاص لدى جميع المناسبات المقننة من طرف العزابة في المسجد، فهي بالتالي كانت حلقة الوصل بـــين العزابة وأعيان البلد والمجتمع النسوي، ومن أهم أعمالها الجليلة التي بذلت الجهد من أجلها مقاومتها للبدع والخرافات في زمانـــها، فقد قضت هذه المربية الفاضـــلة عـــلى كثيرٍ من الخرافات التي كانت تخيم على العقول بسبب الجهل والتقـــليد الأعمى، واستبدلتها بالتقاليد الطيبة النظيفة ، مثال ذلك: منع زغاريد النســـاء عـــند رؤيـــة الســـيل، ومنع زغاريدهن صباحا بعد اللقاء الأول بين العروســـين، ومنع الإسراف في تزيين غرفة العروس شفقة على الضعيف، ومنع

بعض الأطعمة والهدايا التي كان يتبادلها الناس بينهم في المناسبات، وفرض تحية " السلام عليكم " عند جميع الناس عوضا عن التحيات الأخرى غير المعهودة في الإسلام، ومنع كل ما فيه كشف لحجاب المرأة وضياع حرمتها، ولقد استجاب أهل غرداية لهذه المرأة الصالحة بكل ثقة ورغبة ورهبة، وكانت قاعدتها الأساسية للإصلاح والمقاومة هي الولاية والبراءة التي لا تطبق من جهة فرد واحد وإنما جماعة النساء والرجال فيعطي ذلك أثره العميق في الامتثال لأوامر الله والانتهاء عما نهى الله عنه[1]، ولقد تقدمت هذه المرأة المؤمنة جنبا إلى جنب مع أخواتها الصالحات ومع الرجال في الثورة على الاستعمار الفرنسي الذي قام به على الجزائر عام ١٢٧٠ هـ، فقد ذكر الأستاذ إبراهيم قرادي في رسالته: (إن الجماعات الدينية للنساء نظمت مؤتمراً[2] تحت رئاسة رئيسة الجماعة الدينية النسائية بغرادية وهي المسماة " مامة بنت سليمان " وقررن إصدار أوامر بمقاطعة كل ما يتصل بالفرنسيين من لباس ومواد وغيرها[3] وحمَّست هذه المرأة الكريمة الجماهير على هذه المقاطعة السلبية وعقوبة كل من خالف الاجتماع هو إعلان " البراءة والهجران " ضده سواء من الرجال أو النساء، فعمّر الإضراب أكثر من ثلاثين عاما، وترك أثراً إيجابياً على المؤمنين بالفكرة، فكان الطفل يتدرب على ذلك منذ نعومة أظفاره من أمه حتى لا

---

[1] – المصدر السابق، ص٩٧ .

[2] – أحد مؤتمرات " لا إله إلا الله "

[3] – الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الثالث، ص٥٧٧ .

تكـــون لديـــه عقدة ضدها فيرميها ويبتعد عنها، ولقد نجح إضراب مامة بنت سليمان نجاحاً باهراً فإلى عهد قريب كان اللباس الأوروبي ومأكولاته ومغرياته كـــلها مرفوضـــة[1]، وكان لهذا الموقف المشرف من هذه المرأة المؤمنة يعتبر من المواقـــف التي رفعتها إلى مصاف زعيمات النساء المسلمات في العصر الحديث، فقـــد اعتـــبرها صاحب كتاب " ثورات النساء في الإسلام"[2] واحدة من اثنتي عشرة امرأة اشتهرت بمواقف بطولية في العالم[3]، ولقد أعدت هذه المرأة الحصيفة العـــدة لليوم الآخر وعملت بقول الرسول الكريم: ((**إذا مات ابن آدم انقطع عملـــه إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع بـــه، أو ولد صالح يدعو لـــه**))[4] فقـــد بذلت نفسها لتعليم بنات جنسها في منـــزلها وسط المدينة وفي البساتين ثم بعد ذلك حبست كتبـــها لمن يطلب العلم، ونصت في وصيتها على شـــراء دار يوقـــف للتعلم وسط المدينة مما يفضل من الثلث، فما أعظمها من وصـــية، وصية من أجل طالب العلم الذي سيحمل شعلة العلم والإيمان لأسرته وجيرانـــه ومجـــتمعه، وبعـــد هذا الجهاد العظيم في سبيل إعلاء كلمة الله، وفي نـــهايـــة شهر رمضان المبارك ذكّرت النساء بفضائل العيد، وقرأت لهن خطبة

---

[1] – مسلمات صالحات في روضة الإيمان، مصدر سابق، ص٩٦ .

[2] – الصحفي الإيطالي جوردون بيرون .

[3] – الإباضية في موكب التاريخ، مصدر سابق، المجلد الثالث،ص٥٧٧.

[4] – رواه ابن ماجة في المقدمة ٢٠ باب ثواب معلم الناس الخير ٢٤١ ورواه أبو داود في كتاب الوصايا ١٤.

عيد الفطر المبارك المعروفة في " وادي ميزاب"، وهي متزينة بلباس العيد، فقالت للنساء: (أتمنى لقاء الله على هذه الحالة) وما هي إلا لحظات حتى أصبحت في جوار الخالدين في جنات النعيم يوم ٢٩ من رمضان عام (١٣٤٩هـ/ ١٩٣م) رحمها الله ورضي عنها وجعلها الله برفقة النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقا [١].

[١] - مسلمات صالحات في روضة الإيمان، مصدر سابق، ص٩٨ ـ ٩٩ .

الفصل السابع

نساء من بدية

- ❖ نساء في محراب العبادة
- ❖ الأستاذة المربية ماهلة
- ❖ ولطريق العلم سالكات
- ❖ وللقرآن حافظات
- ❖ معلمات لأفضل الكتب
- ❖ حقاً صائمة
- ❖ ثرية ... ولكن
- ❖ من أولياء الله
- ❖ صاحبة الكرامة
- ❖ أم اليتامى ومفرحة الأطفال
- ❖ الطبيبة العابدة

نساء في محراب العبادة

١) الأختان الدرتان:-

حليمة وباهصة بنات خميس بن علي بن خميس الحجري، أخوات الشيخ سالم بن خميس والد عبد الله بن سالم الحجري[١]، كانت حليمة تتحرى رضا الله في الحركة والسكنة وتتوخى القرب منه تعالى، وتبتغي رضوانه في الخطرة والفكرة، وعدتها الصبر والذكر، تصبر النفس على ما تكره من طاعة الله عزوجل وإن ثقل عليها، وتذكر الله باللسان والقلب، كانت امرأة عابدة جلدة تقوم للنساء في صلاة التراويح في شهر رمضان، وكثيراً ما عمرت مصلى النساء بالواصل بصلاتها وتلاوتها، اتصفت بالشجاعة والجرأة في الحق فكانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، مرّ عليها ذات يوم رجل بمن معه يرقص مع الغناء، فلم يعجبها فعلهم فأنكرت ذلك عليهم ونهتم، وسرعان ما امتثلوا أمرها وانتهوا عن منكرهم الذي كانوا عليه .

أما أختها باهصة فلم تكن تعنيها الحياة بكل ما فيها من زخرف ومتاع وإنما كان كل همها الباقيات الصالحات التي ستبقى لها وترفعها يوم القيامة في سلك الصالحين الأخيار، واتصفت بكثرة العبادة، وكان لها ابن وابنة بذلت ما

---

[١]- عبد الله بن سالم الحجري: سكن الجاحس برهة من عمره يُدرّس القرآن الكريم ثم عرض عليه الشيخ سالم بن ناصر بن بدر الرحلة إلى بلد الغبي ببدية للرحم الذي بينهما، وكان مثقفا مطلعا، تعلم علم النحو ومسائل الميراث وكثيرا من مسائل الصلاة (مخطوطة الأمهات الصالحات، الشيخ علي بن سالم الحجري، ص٤).

في وسعها لتربيتهما التربية الإسلامية الصحيحة على منهج القرآن والسنة، حتى أثمرت عنايتها بـــهما فأصبح ابنها الشيخ ناصر بن بدر بن محمد الحجري أحد مشائخ المنطقة، وأما ابنتها فغدت من العابدات الزاهدات [1].

٢) الدرة العذوبية:-

كـــانت شمســـة بنت سعيد العذوبية من النساء العابدات الصالحات ، تجـــردت لله في خشـــوع وتضرع وصبر لا تـــهزه الأحداث، وتوكل محفوف بالإيمـــان، وحـــب عميـــق لله ملأ قلبـــها وصدرها ووجدانـــها، فأصبحت مشاعرها ربانية ، كانت تقوم لصلاة التنفل من نصف الليل حتى يطلع الفجر، فتســـهر والـــناس نائمون وتربح والناس غافلون ، كانت لا تخرج من بيتها إلا لحاجة ملحة أو لورد الماء ، حتى عجزت فأعانتها ابنتها في ذلك[2] .

[1] – مخطـــوط الأمهـــات الصالحات، الشيخ علي بن سالم الحجري، بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، مخطوط مصور في ملف التراجم والمعلومات ،رقم (١/٩)،ص٤ ــ ٥ (بتصرف).

[2] – المصدر السابق، ص١٧ (بتصرف) .

الأستاذة المربية ماهلة

إن القلم ليقف عاجزاً عن الكتابة أمام هذه الأستاذة الجليلة والمربية الفاضلة، ولكن لنطف في غيض من فيض بحر هذه المرأة القدوة .

لقد آمنت ماهلة فظهر إيمانها على أقوالها وأفعالها وحركاتها وسكناتها، فكانت مع الناس في معاملتهم، ولكن قلبها كان أبداً لله تعالى لا تعمل إلا له ولا ترجو إلا إياه، وكانت مع الله فكان الله معها، لقد نمت هذه الوردة اليانعة في بيت العلم والتقوى، وتفتحت في بستان الورع والتقى؛ فكان والدها الشيخ عامر بن سلطان الحجري، وهي أخت البرة الرضية الصوامة القوامة سالمة، تاقت نفسها للعلم فأخذته عن والدها الشيخ عامر، وأخذت تتبحر في فنونه المختلفة ، ولكنها ركزت اهتمامها في المجالات التي تخص النساء كأمور الحيض والنفاس والطلاق والعدة وغيرها ، اتصفت هذه المرأة القدوة بالصبر على طاعة الله تعالى والعبادة المنقطعة النظير، بذلت مالها للفقراء والمساكين في السر والعلانية ، فأصبحت للمحتاجين نهراً دفاقاً بالبر وبحراً معطاء بالبذل،كانت ورعة لا يتكلم أحد من النساء في مجلسها بشيء من لغو الكلام ولا بحديث الدنيا إلا ما شاء الله، ولم تقتصر على ذلك بل رأت أن الدعوة إلى الله هي أسمى آيات الجهاد؛ فبذلت نفسها لطالبات العلم واجتهدت في تقديم النصيحة لهن، واهتمت ببنات جنسها فكانت تنير لهن طريق الصواب بأسلوب لطيف ولين ورقيق جذاب، فكانت نصيحتها تفعل فعلها في القلب،

وتترك بصماتها في النفس، وكانت مرجعاً للنساء في ما يشكل عليهن من أمور دينهن .

هذا بالنسبة لبنات جنسها، أما بالنسبة لأسرتها فقد تزوجت هذه العابدة الزاهدة من الفاضل عامر بن محمد الحجري، وكانت معينة له في أمور دينه ودنياه وولدت منه ولداً أسموه حمدا، بذلت هذه الأم جهدها لتنشئته النشأة الإسلامية الحقة ثم أصبح أحد تلامذة الشيخ نور الدين السالمي -رحمه الله، وأخاً وزميلاً للشيخ سالم بن راشد الخروصي الذي أصبح إماماً لعمان بعد ذلك، وكان الإمام سالم بن راشد كثيراً ما يزور ولدها حمد في البيت ، وكانت تقول لزوجها عامر لا تدع سالماً ينام خارج البيت، وكانت كثيراً ما ترقب سالماً في صلاة الليل، وتتحدث عن رؤية النور الذي يسطع عليه وتخبر صاحباتها عن ذلك، وكان ولدها حمد كثيراً ما يمزح معها وترد عليه بقولها (أصنع لكم شغلاً إن لم يكن لكم شغل)، فكانت تتوخى استغلال وقتها في كل ما هو نافع ومفيد لها ولأمتها، وعلى هذا الصراط المستقيم أمضت هذه المرأة الطاهرة حياتها متألقة بالإيمان زاخرة بالتقوى لا تحرك لسانها إلا بعلم أو معرفة أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر[1] .

[1]- المصدر السابق، ص١٢ (بتصرف) .

ولطريق العلم سالكات

١) الدرة الأولى :-

كانت هذه الفتاة الكريمة في شجرة من الصالحين كالغصن الباسق الذي يزيد علواً ونضارة وعطاء مع مرور الأيام والأعوام من هذه الفتاة وكيف كانت حياتـــها؟ هذا ما سنتعرف عليه من خلال السطور القادمة .

إنها سالمة بنت عامر بن سالم الحجرية تربت في كنف والدها الشيخ عامر الذي كان شيخاً من مشائخ العلم ، كان إمام مسجد الجامع - وهو أحد مساجد بلد المنترب[١] من أعمال بدية بعمان -، وهو الذي قال فيه الشيخ حمد بن سالم مرتجلاً لما حضر بحضرة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي بمثل قول الفرزدق:

هذا الذي يعرف المحراب وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

فما أعلاه من شرف أن تكون سالمة هي ابنة هذا العالم الجليل، وأما والدتـــها فهي تلك العابدة الزاهدة شيخة بنت حمد التي كان لا يفتر لسانـــها عن ذكر الله تعالى، هذه هي أسرتـــها أسرة التقى والنقى، أسرة حلّقت في سمائها تعاليم الإسلام ومبادئه السمحة، فنشأت سالمة محبة للعلم متألقة في محرابـــه فنهلت علومها من والدها الشيخ عامر، وتبحرت في

---

[١] - المنترب إحدى قرى ولاية بدية بعمان، تقع في وسط الولاية تقريبا، تبعد عن العاصمة مسقط ١٨٠ كيلومتر .

مسائل الصلاة والصيام، فكانت مرجعاً لبنات جنسها فيما يشكل عليهن من أمور الدين والدنيا، روضت نفسها على العبادات حتى غدت من العابدات الصائمات اللاتي لهن سبق في الدين والفضل، فجمعت هذه المرأة الفاضلة بين العلم والعمل، علم يقودها إلى العبادة الحقة، عبادة الله على بصيرة، وعبادة ترتقي بـــها إلى أعلى درجات الجنة [1].

٢) الدرة الثانية :

يكفي هذه المرأة شرفاً أن تكون أمها حليمة التي سبق ذكرها في " نساء في محراب العبادة "، أمها التقية الورعة، قدوة النساء في الصبر على عبادة الله وطاعته، كانت هذه الفتاة تدعى راية بنت حليمة واسمها راية بنت عامر بن سعيد، ربتها والدتـــها على الأخلاق الفاضلة والمبادئ الكريمة حتى غدت من العـــابدات الصـــالحات الفاضـــلات، أحبت العلم فثابرت على تحصيله من الأستاذة المربية ماهلة، كانت ذات عقل راجح وقلب متفتح للعلم فاجتهدت في الـــتفقه في الأمـــور الخاصـــة بالنساء كالعدة والحيض، وأصبحت أفضل تـــلميذات الأســـتاذة ماهـــلة، روت عنها كثيراً من المسائل الفقهية الخاصة بالنساء، فغدت نائبة عن أستاذتـــها فيما بعد ومناراً لبنات جنسها فيما عضل عليهن في مسائل الحيض والعدة[2].

---

[1]- المصدر السابق، ص١٦ (بتصرف) .

[2] - المصدر السابق، ص١٤ (بتصرف) .

٣) الدرة الثالثة:-

وهذه درة أخرى من نتاج جهود الأستاذة ماهلة إنـــها شمسة بنت علي العذوبية، من النساء اللاتي اهتممن بالعلم فبذلت جهدها في النهل من موارده العذبة، اتصفت بالصلاح وكثرة العبادة[١] .

٤) الدرة الرابعة:-

كـــانت رغبـــتها للعلم قوية فاتخذته هدفاً نبيلاً تسعى من أجل تحقيقه، وكان شعارها قول الشاعر :

العـــلم أبقى لأهل العلم آثارا يريك أشخاصهم روحا وإبكارا

إنـــهـــا السيدة الجليلة شمسة بنت مسعود بن عامر بن خميس بن حابس الـــتي أخذت على عاتقها الاهتمام بنسخ الكتب من أجل بقاء العلم ، وليسهل الـــرجوع إليهـــا من قبل طلابـــه، وبذلك أسهمت هذه الفاضلة في نشر العلم وحفظه، ومن هذه الكتب التي نسخت لها كتاب " ابن عطاء الاسكندري[٢] " .

[١] - المصدر نفسه، ص١٧ (بتصرف).

[٢] - المصدر نفسه، ص٢ (بتصرف).

وللقرآن حافظات

كـــن ثلاث أخوات قطعن على أنفسهن عهداً على بذل الوقت والجهد مـــن أجل دراسة القرآن الكريم وحفظه ، حتى يظل هذا الكتاب العظيم في صدورهن أينما ذهبن فيكون نبراساً لهن في أقوالهن وأفعالهن فيرتقين بـــه إلى أعلى درجات الجنة، رزقهن الله بأخ كريم وشيخ فاضل هو الشيخ مسعود بن علي، درس القرآن فحفظه عن ظهر قلب، فكن يحفظن من عنده القرآن وكن يتدارســـن عـــلى العشرات أي كل عشر آيات معاً، اتصفت هذه الأخوات الـــثلاث بـــالورع والمبالغة في التستر والاحتشام إلى حد أنـــهن كن يلبسن القميص وفي أطراف الأكمام عروة مقابلة لإصبع الإبـــهام من اليد تجعل تلك العروة في إصبع الإبـــهام، بحيث لا تنكشف سواعدهن إذا ما رفعن أيديهن[1].

[1] - المصدر السابق، ص٢٠ (بتصرف).

معلمات لأفضل الكتب

١) الدرة الأولى:

سالمة بنت سويف التي نشأت وعاشت في بدية، اتصفت هذه المرأة الفاضلة بكثرة العبادة، فكانت قانتة لله عابدة له حافظة لأغلب كتاب الله ﷻ، وحرصت هذه المرأة على غرس حب القرآن الكريم في أبنائها، حتى غدت ابنتها شمسة بنت عبيد من الصوامات الحافظات للقرآن الكريم، ورأت هذه المعلمة الفاضلة وابنتها أن القرآن الكريم هو أهم شيء ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يهتم به، عملاً بقول رسول الله ﷺ: ((**علموا أولادكم القرآن فإنه أول ما ينبغي أن يتعلم من علم الله هو**))[١]، فبذلن جهدهن ووقتهن لتعليم وتحفيظ الأولاد القرآن الكريم، فكانت مدرستهن مناراً لكل مبتدىء ومبتدئة يستقي من خلال تلك المدرسة العامرة المبادئ الأولى في اللغة العربية، والنطق الصحيح للكلمات القرآنية، فكانتا سبباً في نشر كتاب الله ﷻ ونقله للأجيال[٢].

---

[١]- الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي ، ضبطه وخرج أحاديثه محمد إدريس، راجعه وقدم له عاشور بن يوسف،دار الحكمة، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٥م ،ج١، باب ذكر القرآن، رقم ٣، ص٢٤.

[٢] - مخطوط الأمهات الصالحات، مصدر سابق، ص١٨ (بتصرف).

٢) الدرة الثانية :

سلمى بنت مفتاح التي تعلمت القرآن الكريم فأنار بصيرتها، وأضاء سريرتها، وصقل قلبها، وجلا عقلها، وصفّى ذهنها حتى أصبحت العابدة الزاهدة، كانت من أحسن النساء وأسترهن، وكانت لها أخت اتصفت بكثرة التنفل والعبادة لله تعالى، وكانت حافظة للقرآن الكريم[١].

٣) الدرة الثالثة :

تحرت الحلال في المأكل والمشرب والملبس، وعبدت الله عبادة الصالحين الأخيار، وعلمت بنات جنسها الصغار منهن والكبار، واجتهدت في تحفيظهن كتاب الله العزيز والأذكار، فهيا بنا نقطف أزهاراً من حديقتها الغنّاء لينتشر عبيرها في جميع الجوانب والأنحاء، إنها شيخة بنت علي بن عامر الدرة المكنونة الموسومة بالعبادة والصلاح، اهتمت بتعليم النساء البُلَّغْ ما يهمهن من أمور دينهن، وبذلت الجهد الكبير لتعليم النساء الكبيرات القرآن الكريم، ومن تحريها الحلال أن بعض النساء كن يأتينها بشيء من الهدايا كالرطب والليمون فكانت لا تقبل إلا ممن تعرف أن لها مالاً [٢] .

---

[١] – المصدر السابق، ص٢٩ (بتصرف) .

[٢] – المصدر نفسه، ص١٥ (بتصرف).

حقاً صائمة

كـــانت آنس ما تكون إذا كانت مع الله في خلوتها، وأوحش ما تكون إذا كـــانت مـــع الناس في جلستها، وكانت من العابدات الزاهدات الصابرات الشاكرات القوامات الصوامات، قد أحيت نفسها لله بذكره ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[1]، فهيا بنا نطُوف في حديقتها الغنّاء؛ لنتعرف على شخصها الكريم .

إنـــها شيخة بنت علي بن خميس البليشية، اشتهرت هذه المرأة بالزهد والانقطـــاع في عبادة الله تعالى، وكانت كثيرة الصوم لنفسها وإذا عرض عليها الصوم بالأجر، قالت: (الأعمال الصالحة لا يؤخذ عليها أجر ولا تفي بـــها)[2].

هـــذه المرأة العاقلة اتخذت من حديث رسول الله ﷺ منهجاً حينما قـــال : ((**لخـــلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، فارق عبدي شـــهوته وطعامه من أجلي فالصيام لي وأنا أجازي بـــه**))[3]، وكان لهذه المرأة الفاضلة ولد بذلت جهدها في تربيته حتى اشتهر بين الناس بالحاج عامر[4]، ومن

---

[1] – الرعد ٢٨ .

[2] – مخطوط الأمهات الصالحات، مصدر سابق، ص١٠ (بتصرف) .

[3] – الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي، على ترتيب أبي يعقوب الوارجلاني، دار الفتح، بيروت ــ لبنان، ص٨٤.

[4] – هـــو عامـــر بن حمد بن سالم الحاج : وقد حج أربعا وأربعين حجة منهن حجتان عن نفسه والباقي بالأجر وكان كثيرا ما يجاور بمكة المكرمة (مخطوط الأمهات الصالحات، مصدر سابق، ص١٣).

حفيداتـــها زيون بنت سعيد بن علي بن خميس البليشية التي اشتهرت بالفضل والعبادة وكثرة الصيام، وكانت لا تخرج أيام صومها ولا تتحدث مع النساء في لغوهن[1] .

[1]- مخطوط الأمهات الصالحات، ص١٣ (بتصرف).

ثرية ...ولكن

كانت قدوة النساء في البذل والعطاء، تشرف بنفسها على تزكية أموالها، متصفة بالفضل والطهر والنقاء، لقد كانت مريم بنت حميد من الفاضلات الطاهرات الزكيات، رزقها الله ﷻ أموالاً وخيراً كثيراً، وكان زوجها من المجالسين للعلامة الشيخ نور الدين السالمي، فكانت تسأله عن مسائل الزكاة حتى تؤدي زكاة مالها على أكمل وجه، كيف لا؟ والزكاة فريضة من فرائض الإسلام الخمسة، ومما يذكر عنها أن زوجها قال لها: (قال لنا الشيخ السالمي أن لا زكاة في الحشف) وهو المعروف بالدقل، وكان من حرصها على أداء الزكاة أنها كانت تجلس قريباً من الذي يكيل الزكاة من التمر ومن البسر المغلي، وتقول له في الكيلة العاشرة: (ملّي يديك) أي خذ حفنة كبيرة، ما أعظمه من موقف أن يحرص الإنسان على محاسبة نفسه في ماله في هذه الحياة الدنيا، ليجد جواباً ينقذه من عذاب الله يوم القيامة ويقربه من رضا الله وجناته، جوابا لسؤال الله تعالى له يوم القيامة يوم العرض الأكبر ، ذلك السؤال عن المال من أين اكتسبه وفيم أنفقه[1] .

[1] – المصدر السابق، ص١٤ (بتصرف).

من أولياء الله

منذ طفولتها الغضة الناعمة النضرة، وتعاليم الإسلام ومبادؤه تشكل سلوكها وتصوغ حياتها وتنأى بها عن مزالق الشيطان، فقد تربت الفاضلة سالمة في كنف والدها العالم الجليل عامر بن سلطان الحجري، وهي أخت المعلمة المربية ماهلة، اتصفت هذه المرأة بالزهد والانقطاع إلى الله تعالى بالعبادة، فكانت تجد لذتها في وقوفها بين يدي الله ﷻ في ظلام الليل تناجيه وتذكره، فارقت المأكل والمشرب من أجل طاعة الله سبحانه وتعالى فكانت صوامة قوامة، ولقد شرفها الله تعالى بزيارة المسجد النبوي الشريف وقبر النبي ﷺ، وأداء فريضة الحج في وقت لم تكن فيه الطرق آمنة ميسرة بل كانت رحلة الحج مغامرة محفوفة بشتى المخاطر والمشاق، فمن مشقة الطريق وطولها، إلى لهيب الحر في صحراء نجد والحجاز إلى الخوف الأعظم الكائن بسبب قطّاع الطرق، أولئك القوم الذين سيطر الشيطان على نفوسهم وعقولهم فجعلوا من التعرض لضيوف الرحمن وسلبهم ونهبهم بل وقتلهم حرفة لهم، ولذلك حين عادت سُئلت عن الحج، فقالت: (إن السفر إلى المدينة نصف الحج، والخوف النصف من ذلك السفر) وكان من كراماتها أن الأنوار تُرى عليها كثيرا، كانت كثيراً ما تحض الناس على طلب العلم وتشجعهم عليه لعلمها أن الله ﷻ لا يعبد عن جهل، وكانت من الذاكرات الله كثيرا[1] .

---

[1] - المصدر نفسه، ص١١ (بتصرف).

صاحبة الكرامة

تعالوا نقف ساعة في فيض عامر مع تاريخ هذه المرأة العظيمة ونحلق في معـــراج بطولتها ونـــزجي إليها تحية إعظام وإكبار، كما أهدت إليها الملائكة دعاء الرحمة والمغفرة والرضوان، من هذه المرأة؟ وما قصتها؟

إنـــها سالمة بنت خميس بن علي بن خميس الحجرية، اتصفت هذه المرأة بحـــبـــها للعبادة وسموها في الأخلاق، فكانت تعاليم الإسلام تمثل منهجها في الحياة، ومبادئه تشكل سلوكها مع ربـــها ومع نفسها ومع الناس من حولها.

اتخذت من القرآن الكريم والسنة النبوية نبـــراساً يهديها إلى طريق الحق والـــنور في الدنيـــا والسلامة في العقبى ،كانت مع أخيها العالم الورع حمد بن خميس الحجري[1] كفرسي رهان في التسابق إلى طاعة الله ﷻ وطلب مرضاته ، ومما يذكر عنها أن أخاها حمدا حكم بينها وبين رجل يسمى مسعود المعروف براعي فالح، وكان الحكم في أرض لها ولأختها فاطمة بنت خميس، فقال العلامة حمد لمسعود: (حدد الأرض التي تدعيها) فخط مسعود عليها برجله، فقالت له سالمة: (إن رجلك ستتيبس ولا تخرج بـــها إلى السوق بعد الظهر إن شاء الله) فلم يخرج من مكانه منذ ذلك اليوم حتى توفي[2]، فيا لها من كرامة لهذه العابدة

---

[1]- العـــالم حمد بن خميس على بن خميس الحجري : كان عالما ترجع إليه الفتوى في زمانه في بلد الواصل وكان من ورعه وتقواه لا يفتي إلا من كتاب وكان يرجع في فتواه الفقهية إلى كتابي بيان الشرع ولباب الآثار (مخطوطة الأمهات الصالحات، مصدر سابق ، ص٧).

[2] - المصدر السابق، ص٧، ٨ (بتصرف).

الفاضلة فقد تحققت دعوتـــها، دعوة المظلوم التي ليس بينها وبين الله حجاب .

أم اليتامى ومفرحة الأطفال

كانت هذه الدرة المكنونة، البرة الرضية مأوى للأيتام ومفرحة زهور الأيام وعابدة لرب الأنام، إنها المعروفة باسم الحبيبة جدة سالم بن علي بن عامر أم أبيه ، اشتهرت هذه الطيبة النقية بالعبادة والصلاح، بذلت مالها ونفسها من أجل أن ترى البسمة ترتسم على وجوه الأطفال اليتامى ، فكانت لهم كالأم الحنون الرؤوم تحفهم بعطفها وحبها وتضمهم إلى بيتها وتوفر لهم ما يحتاجونه من مأكل وملبس وغيره، وإذا توفر لها شيء من المال اشترت به هدايا للأطفال الصغار، وكان أسعد لحظات عمرها حينما ترى الأطفال فرحين مسرورين، وقد ابتلاها الله سبحانه وتعالى بفقدان نعمة من أغلى نعمه وهي نعمة البصر، فتلقت ذلك الابتلاء بما يجب أن يتلقى به المؤمن الصابر قضاء الله ﷻ وقدره من التسليم والرضا .

لم تكن تخبط في دينها خبط عشواء بل كانت تهتدي بنور العلم، وتؤدي العبادات على بصيرة من أمرها، رقدت يوما في شهر رمضان، ولما انتبهت من نومها شربت من ماعون قريب منها تظنها في الليل، وخرجت من موضعها فحرقتها الشمس، فنادت على ولدها علي بن عامر بأن يذهب إلى العلامة حمد بن خميس الحجري، ويسأله عن مسألتين في الصوم؛ فسار إليه عامر وسأله عن المسألتين، فقرأ عليه الشيخ حمد جواب المسألتين من كتاب بيان

الشرع من الجزء المختص بالصوم[1]، فما أجدر بالمسلمة اليوم أن تطلب العلم من مظانه، وأن تجد في أمثال هذه المرأة أسوة حسنة فتعبد الله على بصيرة فتحاسب نفسها قبل أن تحاسب .

لقد ضربت هذه المرأة المثل والقدوة في بذل النفس والمال من أجل رؤية البســـمة في وجوه الأطفال اليتامى البؤساء، فأين مثلها اليوم وقد كثر الأطفال البؤساء نتيجة الفقر والحروب والمجاعات؟.

[1] - المصدر السابق، ص٧ (بتصرف).

رابية بنت سويلم بن علي البليشية
الطبيبة العابدة

جمعت هذه الدرة المصونة بين النسك والعبادة لله تعالى وبين العمل والبذل من أجل نفع الناس، رزقها الله ذكاء حاداً ونفاذ بصيرة، ويداً ماهرة متقنة في العمل، تعلمت طب الكيّ فكانت خبيرة في الكي عن الموضح ومرض الزهار اللذين لم يكن لهما علاج في القديم إلا به، وأكسبتها الحياة بمرور أيامها خبرة في توليد النساء فكانت نافعة لبنات جنسها ولا تمتنع على أحد منهن طلبا للأجر من عند الله تعالى، لقد جمعت هذه المرأة الفاضلة بين العبادة وكسب الرزق والعمل .[1]

[1] - المصدر نفسه، ص١٤ (بتصرف) .

الفصل الثامن

(١٣٢٠ هـ - ١٤١٩ هـ)

- مامة شيخة بنت إبراهيم بكير
- ميرة بنت يحيى
- زعيمة البارونية
- ثريا البوسعيدية
- عائشة الحارثية

مامة شيخة بنت إبراهيم بكير

أم اليـــتامى والمحرومين، الملقبة بأم الخير، وقدوة النساء في الصبر وتحمل المصائب، ومثل المرأة المؤمنة في حب العمل والكسب الحلال، هذه بعض ملامح حياة هذه المرأة القدوة مامة شيخة بنت إبراهيم .

لقد ولدت هذه السيدة الكريمة في ولاية غرداية بالجزائر، ونشأت نشأة صـــالحة في أسرة الخير والصلاح، وعندما كبرت ازداد شغفها بسماع المواعظ الـــتي يلقيها المشائخ في المساجد، وزاد حبـــها لحلقات الذكر والابتهالات في التجمعات النسوية المختلفة، وهكذا زاد تحصيلها العلمي الديني من خلال هذه الدروس والحلقات من غير مدرسة أو كُتاب، حتى أصبحت العضد الأيمن الذي لا يمكن الاستغناء عنه في حلقة المرشدات.

وهبـــها الله نضجاً في الفكر وسداداً في الرأي مما جعلها محل الاستشارة الصـــائبة في العائلة والمسجد والعشيرة، وكم كانت ترجع إلى المنـــزل في ساعة متأخرة من الليل بعد حضور إحدى هذه الحلقات الجدية مع أعيان من الرجال والنســـاء لحل مشاكل الأنساب في الميراث وغيرها، وكانت تجيب عن الفتاوى الديـــنية الـــتي تلقى عليها، وذلك بعد التحقق من الإجابة الصحيحة من بعض علماء عصرها، ولقد استطاعت هذه المرأة الكريمة أن تكسب لنفسها مكانة بين العلماء بفضل خزانة الكتب التي نظمتها في غرفة استقبال للضيوف العلماء وقد كـــانت تغـــنيها بالتعاون مع زوجة القطب وابنته كلما صدر كتاب جديد في

الســـاحة العلمية المحلية، هذا بالإضافة إلى ما ورثته من كتب قديمة من زوجها العالم .

عاشـــت زوجة ثانية للحاج مسعود بن إبراهيم -أحد تلامذة القطب- ولقـــد رزق الله هذا الشيخ عشرين ولداً من الزوجة الأولى، ورزق منها ثمانية ذكور، وعندما توفي زوجها العالم صبرت لهول المصيبة فلم تسلم نفسها للنحيب والـــبكاء، بل كانت تنفرد بنفسها على سطح الدار، وتصلي لله تعالى مدة أيام الحـــداد، حتى أراها الله كرامة عن مقام زوجها في الخالدين، وقد بذلت نفسها بعـــد ذلـــك لتربية الثمانية والعشرين ولداً، جاهدت حتى توفر لهم لقمة العيش الهـــنية، فقـــد كانت تنسج الألبسة الصوفية بمختلف أنواعها، وترسلها إلى عم الأولاد ليبيعها في تجارته بمدينة الحلفة، وعندما تقبض النقود تعيدها إليه ليشتري بـــها ملابس وهدايا لأبنائها، وكانت لهم جميعا الأم الرؤوم بحنانـــها وعطفها والمـــربية القدوة بتربيتها لهم التربية الإسلامية الصالحة، وساعدتـــهم بمالها حتى كبروا، ولم تكتف بذلك بل عندما بلغوا سن الزواج ساعدتـــهم فيه بمالها، ولم تقتصـــر بإنفـــاق المـــال على أبنائها وربائبـــها، بل كانت تبذله في سبيل الله للمحـــتاجين والفقراء ، وخاصة في أيام شهر رمضان حيث تتضاعف الأجور والحسنات ، وكان لها دور عظيم في مجتمع غرداية يتمثل في إصلاح ذات البين، وكـــانت ترشد المتزوجين إلى أداء واجباتـــهم الدينية، ورعاية حقوقهم المتبادلة في الحياة ، وقد بذلت نفسها لبنات جنسها فقد كان لها خبرة واسعة في توليد

النســـاء، وكانت تجيب نداء أخواتـــها المؤمنات في أي وقت وإلى أبعد مكان ممكن في ضواحي المدينة ، لما اتصفت بـــه من رعاية فائقة للنفساء فكان النساء يشـــعرن بالاطمئنان والأمان والبركة أثناء تولديهن على يديها الكريمتين ، هذه هي حياة ماما شيخة، عمل وكسب للرزق من أجل توفير لقمة العيش لأطفالها اليتامى ، ونضال مستمر من أجل تنشئتهم النشأة الصالحة الحقة ، وبذل للنفس مـــن أجل إعلاء كلمة الله في الأرض، عسى الله أن تنال بشارة الرسول الكريم مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: ((أنا وسعفاء[1] الخدين كهاتين يوم القيامة: امـــرأة آمت[2] زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا[3] أو ماتوا))[4] وأن يغفر الله تعالى لها بعملها الدؤوب، وكسبـــها الحلال ، مصـــداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام ((من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفـــورا له))[5]، وقدمـــت لنفسها الأجر الذي لا ينقطع لاستمرار عملها بعد وفاتـــها، متمثلة لقول الرسول ﷺ: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثـــلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع بـــه، أو ولد صالح يدعو له))[6]، وفي

---

[1]- سعفاء : تغير لونـــها إلى السواد (المنجد في اللغة، مصدر سابق، ص٣٣٨)

[2] - آمت : صارت لا زوج لها (المنجد في اللغة، مصدر سابق، ص١٧)

[3] - بان : انقطع عنه وفارقه وبانوا بمعنى فارقوا (المنجد في اللغة،مصدر سابق،ص٥٧) .

[4] - الترغيب والترهيب ج٣ ص٣٤٨،كنـــز العمال ج١٧ ص٤٠٧،فتح الباري ٤٣٦/١٠.

[5] - الترغيب والترهيب ج٢ ص٢٩٣،كنـــز العمال ج٤ ص٧.

[6] - رواه ابن ماجة في المقدمة ٢٠ باب ثواب معلم الناس الخير ٢٤١، ورواه أبو داود في كتاب الوصايا ١٤.

نـــهايـــة حياتـــهـــا ابتلاها الله بمرض في الكبد، ورجعت في يوم رطيب إلى ربـــها راضية مرضية في عام (١٣٨٣ هـــ)، بعد أن أعدت غُرفة بها جميع ما يـــلزم لتنفيذ الوصية فلم تتعب أحداً حية ولا ميتة رحمها الله ورضي عنها، فما أجـــدر المرأة المسلمة في هذا العصر أن تستقي هذه الجوانب الناصعة من حياة هذه المرأة المجاهدة[١] .

[١] – مسلمات صالحات في روضة الإيمان، مصدر سابق، ص١١١ـ١١٦ (بتصرف) .

ميرة بنت يحيى

لقد اتصفت هذه المرأة الصالحة بالشجاعة والإرادة والنشاط المنقطع النظير من أجل البلوغ بالأمة إلى أسمى درجات العزة، لقد ولدت هذه المرأة الفاضلة عام (١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م) في ولاية غرداية بالجزائر، توفي والدها وهي ما زالت صغيرة، فبذلت أمها مسعودة بنت عمر الجهد الجهيد من أجل تربيتها تربية صالحة، لقد تعلمت هذه المرأة الصالحة من طفل كان جاراً لهم؛ فأصبحت تكتب وتقرأ وحفظت مجموعة من سور القرآن عن طريق السماع من هنا وهناك، فلقد قيض الله لها من يعلمها بغير مدرسة ولا جامعة، لقد تعددت وظائف هذه المرأة الاجتماعية وضربت لكل امرأة مسلمة المثل والقدوة في الربط بين العمل والعبادة بل الاعتقاد بأن العمل ركن لا ينفك عن العبادة، وأن المرأة العاملة الصالحة خير من المرأة الخاملة المتواكلة، فقد اهتمت بالفلاحة حتى وصلت منتجاتها إلى السوق، كما أنها بنت وبمساعدة أختها مامة داراً للسكنى في بستانها بعد أن قطعت لها الطوب الطينية بيدها فكانت تحتجب لتقوم بالبناء وقت القيلولة أو الليل ثم سكنت هذه الدار بعد ذلك، ومارست أيضا التجارة اليدوية التقليدية والمتمثلة في صنع بعض الأثاث لغرف العرائس وإصلاح بعض الموائد المنزلية، وكانت تجمع الجلود المهملة وتصنع منها الدلو والقربة، وترقع ما ثقب من الأدوات الجلدية التقليدية، ولقد ألهمها الله مهارة فائقة في طب الأسنان والعيون وجبر العظام، حتى أن الشيخ

إبراهيم ابن بانوح فتح لها منـــزله حتى تقوم بـــهذه المهمة في حصص أسبوعية خاصـــة، ولقد شاركت بإخلاص وشجاعة في الثورة ضد الاستعمار كممرضة لجـــنود جـــبـــهة التحرير الوطني، اشتهرت هذه المرأة العاملة الصالحة بالرأي الحصـــيف في مختلف الأمور التي تستشار فيها ، وخاصة في مجالس إصلاح ذات البين، وكانت ملاذاً للعزابة والقواد في إعطاء الحلول النافعة والمشورة الصائبة ، لقد جمعت هذه المرأة الطاهرة بين الشجاعة والرأي السديد والصلاح والإيمان، وبـــين النشاط الدؤوب والعمل الجاد في سبيل نفع بني جنسها، وضربت لكل فتاة مسلمة القدوة الصالحة في الامتثال لقول الرسول ﷺ بأن الإنسان سيسأل عـــن ((**عمره فيما أفناه**)) وأن الوقت كالسيف فيجب استغلاله في كل ما هو مفيد ونافع للأسرة والمجتمع، وكان حديث رسول الله ﷺ مناراً لها في دربـــها والقائل فيه: ((**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير**))[1].

توفيت رضي الله عنها عام (١٣٨٧هـــ/١٩٦٧مـــ) بعد عمر قضته في جهاد وعمل وعبادة[2].

---

[1]- فتح الباري ٢٢٧/١٣، كنـــز العمال ج١ ص١١٥ رقم ٤٥٠.

[2] - المصدر السابق، ص.١١٧-١٢٠ (بتصرف).

زعيمة البارونية

كانت مقالاتها تفيض سحراً وبهاءً تهز القلوب والعقول، هذه الكاتبة الأديبة شقت الطريق لأترابها فكانت أعجوبة في بيانها، إنها زعيمة بنت الباشا سليمان البارونية، ولدت بالتقريب عام ١٣٢٠هـ بطرابلس[١] بليبيا، نشأت في أسرة العلم والتقوى، أسرة الباشا الباروني[٢] تعلمت القراءة والكتابة فتنبهت في نفسها الرغبة في المطالعة والدراسة العميقة في فنون العلم المختلفة، حتى أصبحت كاتبة بارعة، حيث شاركت بمقالاتها في مختلف الصحف والمجلات مثل مجلة " صوت المربي " الطرابلسية ومجلة الأفكار، ولها مراسلات قيمة في أمثال هذه الشؤون العامة مع أخيها تدل على مبلغ علمها وثقافتها وأخلاقها وإخلاصها لمبدئها، امتازت هذه السيدة

---

[١] - عاصمة الجماهيرية الليبية ومرفأعلى البحر المتوسط،تشتهر بزراعة النخيل والزيتون، بها آثار فينيقية ورومانية وعربية،وتعتبر مركزاً ثقافياً وتجارياً وصناعياً (المنجد في الأعلام،مصدر سابق،ط٢١،ص٣٥٦).

[٢]- سليمان باشا الباروني الطرابلسي : زعيم سياسي مجاهد ولد في كابا من بلاد طرابلس بالقرب من ليبيا، وتعلم في تونس والجزائر ومصر وعاد إلى وطنه، وجاهد من أجل تحريره، ثم ذهب إلى الحج عام ١٩٢٤هـ، بعدها ذهب إلى مسقط فجعله سلطان مسقط مستشارا لحكومته عام ١٩٣٥م، فأقام عامين فيها ومرض فذهب إلى بومباي بالهند للعلاج وتوفي فيها ومن أشهر مؤلفاته الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية وله ديوان شعر (الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين،جمال الدين الزركلي،دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط٥، ج٣،ص١٢٩).

الفاضلة بأسلوبها القصصي الشيق، الخفيف الروح، وورثت زعيمة الروح الفدائية عن والدها العظيم، واختارت لنفسها حياة الانقطاع من أجل علمها ووطنها ومن أجل أبناء أخيها إبراهيم فلم تتزوج، وبذلت الوقت والجهد لتربية أبناء أخيها إبراهيم فكانت تقول : (إني أعاهد الله أن أبذل جهدي في تنشئة أبناء أخي التنشئة التي أرادها لهم جدهم المرحوم الوالد الباشا ولو كلفني ذلك آخر قطرة من دمي) ومن مؤلفاتها النفيسة: (أبي كما عرفته) وهو كتاب عن حياة والدها سليمان باشا الباروني، ومن مقالاتها البليغة مقالة بعنوان " فزان البعيدة " في مجلة صوت المربي العدد الأول، ومقالة " وفق الله الجهود النبيلة "، ومقالة " بنت الحاضرة " في مجلة الأفكار العدد السادس، وغيرها من المقالات التي ذكرناها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر، وأما وظيفتها فقد كانت مع قيامها بشؤون الأسرة وأبناء أخيها إبراهيم، كانت معلمة ببعض مدارس البنات بطرابلس، ثم ترقت لحسن سيرتها وكمال استعدادها إلى أن أصبحت نائبة لمديرة دار المعلمات بطرابلس[1]، فجدير بنا أن ندون تاريخ هذه المرأة الفاضلة وأن نتأمل سيرتها وأعمالها الطيبة.

[1] – سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، أبو اليقظان إبراهيم،المطبعة العربية، الجزائر، ١٩٥٦م ، ج٢، ص٢٣٩ ــ ٢٤١ .

ثريا البوسعيدية

هـــذه المرأة سيرتـــها بذل وعطاء وإنفاق وسخاء، بذلت مالها في سبيل الله والفقـــراء والمساكين ولطالبي العلم واستجابت لنداء رسول الله ﷺ عندما حث النساء على الصدقة فهيا بنا نتعرف على سيرة هذه المرأة السخية .

هـــي السيدة ثريا بنت محمد بن عزان البوسعيدية، نشأت في بيت فضل وأدب ودين، فكان أبوها رجلاً اشتهر بالفضل والجود، ومما ساعده على ذلك ما أمده الله بـــه من المال الوفير، أقام والدها فترة في بوشر[1] ثم في بيت الوكيل الذي كان خلف المسجد الذي ارتبط اسمه بتلك الدار الطيبة، اتصفت هذه المرأة الفاضـــلة بالسخاء، فكانت تـــهب أموالها لوجه الله تعالى، فقد أوقفت أموالا كثيرة ومن أمثلة ذلك:-

- مقصورة الرمامين وكانت مقصورة جميلة أوقفتها رضي الله عنها لمسجد الوكيل.[2]

---

[1]- مـــن أعمال محافظة مسقط تتخذ موقعها بين البحر والجبل إلى الجنوب الغربي لولاية مطرح مـــن سلطنة عمان ، وتدل الآثار أن تاريخها يرجع للألف الثاني قبل الميلاد ، شهدت أحداثاً هامة في التاريخ العماني (مسيرة الخير " مسقط " ، مصدر سابق ، ١٩٩٥م ، ص٨٦).

[2]- يقع مسجد الوكيل حاليا مقابل بيت السيد نادر بن فيصل بمسقط عمان وكان يتجمع في المسجد عـــدد مـــن طالبي العلم يقوم بتدريسهم الشيخ الشاعر محمد بن شيخان السالمي وكان يدرس فيه القـــرآن الكـــريم والتوحيد والفقه واللغة العربية بفروعها (لمحات من ماضي التعليم في عمان، إصدار وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب، ١٩٨٥م ، ص٤١).

❖ مقصورة خرس المالح وأرض أخرى أوصتها لمقبرة .

❖ مقصـــورة بجانب مقصورة خرس المالح أوقفتها السيدة لمسجد المقحم في بوشر .

ولقد رأت بثاقب بصيرتـــها أن العلم وأهله هم أحق الناس بالصدقة لما لهم من دور في إحياء الأمة والمضي بـــها قدما نحو المجد والسؤدد، فعينت الشيخ ســـليمان بـــن زهـــران الريامي وكيلا لها بمسجد الوكيل، يوزع نفقتها على الدارســـين فيـــه وطالبي العلم، وقد تخرج منه جملة من العلماء والمشايخ الذين انتفعوا من النفقة ونفعوا من جاء بعدهم، وندرج هنا بعضا منهم للمعرفة وليس للحصـــر كالشيخ القاضي سالم بن فريش الشامسي، والشيخ القاضي ربيعة بن أســـد الكندي قاضي مطرح سابقاً، والشيخ القاضي سيف بن أحمد الكندي[1]، وقـــد اشتهر مسجد الوكيل برواد العلم والمعرفة الذين كانوا يرتادونه في القرن التاســـع عشـــر الميلادي وبدايات القرن العشرين[2] ويعتبر بيت السيدة ثريا أوما يسمى بالبيت الكبير من أهم المعالم الأثرية في ولاية بوشر[3].

---

[1] – عمانيات في التاريخ، خليفة عثمان البلوشي، ط١، ١٩٩٣م، ص٥٧ .

[2] – لمحات عن ماضي التعليم في عمان، مصدر سابق، ص ٤١ ــ ٤٢.

[3]– مسيرة الخير "مسقط"، مصدر سابق، ص٨٧.

عائشة الحارثية

نستطيع أن نقول إنها الشاعرة الوحيدة في هذا العصر، لما اتصفت به من بلاغة المنطق وفصاحة اللسان وقوة النظم، كان لنشأتها في بيت الدين والعلم والأدب أثر في صقل موهبتها، وتكوين وجدانها وتنمية عبقريتها وتفتح شاعريتها إلى أرحب مدى وأوسع أفق .

إنها الشاعرة الجليلة عائشة الحارثية، كان والدها عيسى بن صالح الحارثي[1] الشيخ العلامة الذي هو أشهر من نار على علم، ولدت عائشة في مسقط[2] عام ١٣٦٤هـ، نشأت هذه البرة الكريمة في بيئة صالحة في بيت علم وأدب وفضل ومكانة، وعُرف عن أسرتها حبهم للعلم والأدب من أب وأخ وخال، حفظت بعضاً من سور القرآن الكريم، وتهذبت وتمسكت بالدين والتقى، سمعت الكثير من قصائد التراث الشعبي وحفظت بعضاً منها، ومما شجعها على ذلك البيئة الأدبية التي نشأت فيها، تزوجت من الشيخ العلامة

---

[1] – الشيخ عيسى بن صالح الحارثي: تم التعريف به في شخصية والدته الفاضلة سليمة الصقرية. انظر ص٨٢.

[2] – عاصمة سلطنة عمان وتقع على خليج عمان ، قال عنها البحارة أحمد بن ماجد بأنها الميناء الأول لعمان (العنوان عن تأريخ عمان ، سالم بن حمود السيابي، الناشر: أحمد بن محمد الحارثي ، ص٥١) .

سعيد بن حمد الحارثي[1] ، تاقت نفسها إلى نظم الشعر فجاءت به على أساليب رقيقة وأفانين أنيقة،وقد بدأت بنظم الشعر منذ الصغر وأول بيت قالته :

أحسن لسانك مهما استطعت فإن اللسان عدو مبين

قال عنها صاحب شقائق النعمان، الأديب محمد بن راشد الخصيبي :

ومن الصالحات من أهل رشد حُرة لم تزل من المحصنات

بنت علامة أمير زكي ذاك عيسى بن صالح ذو التقاة[2]

وذكر بعض من قصائدها في كتابه " شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان "، كما نشرت بعضاً من قصائدها في الصحف المحلية العمانية مثل مجلة العقيدة والأسرة، ومن نماذج أشعارها قصيدتان، الأولى عنوان المرأة في ميزان الإسلام :

جمال فتاة المسلمين حياؤها وحليتها دين به تتجمل

---

[1] _ الشيخ سعيد بن حمد الحارثي: ولد في المضيرب، ختم القرآن الكريم في السادسة من عمره، وحفظ أغلبه عن ظهر قلب، تتلمذ على يد الشيخ يزيد بن خالد البوسعيدي والشيخ سعود بن سليمان الكندي وغيرهم، ولازم الشيخ ناصر بن سعيد النعماني عشرين عاماً، عُيّن والياً على الشرقية ثم نُقل والياً على الرستاق، وعُيّن بعد ذلك مُشرفاً على الجوامع التعليمية بوزارة التربية والتعليم، ثم عين مُساعداً لمدير الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف، وله دور بارز في التأليف، ومن مؤلفاته، إزاحة الأغيان عن لغة أهل عمان، غرس الصواب في قلوب الأحباب، سيرة ذاتية بعنوان " حياتي " وغيرها، كما أنه يُنشد الشعر، وأسلوبه عذب للغاية (أضواء على بعض أعلام عمان قديماً وحديثاً، مصدر سابق، ص١٣٤-١٣٦).

[2]- شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان،مصدر سابق،ج٢،ص١٣ .

وزينتها بين النساء حجابها ... إذا أدبرت أو أقبلت فيه ترفل
وخير نساء المسلمين هي التي ... تدير شؤون البيت أو فيه تعمل
إذا بقيت في البيت فهي أميرة ... يوقرها من حولها ويبجل
وإسهامها للشعب أن قدمت له ... رجالاً أعدوا للبناء وأهلوا
رعتهم صغاراً فهي كانت أساسهم ... تلقن كلاً ما يقول ويفعل
أجبتك عنها فهي ليست بقطعة الأ ... ثاث وليست آلة تتنقل

قولها: (تدير شؤون البيت أو فيه تعمل)، لا ينافي أن تعمل المرأة فيما فيه نفع المسلمين كمدرسة أو طبيبة أو مثل هذا، على شرط الاحتشام والتمسك بأمر الإسلام وقولها: (أجبتك عنها) لأن الباعث لهذا النظم أن سمعت الناظمة في البث المباشر امرأة تقول: (لا يجوز أن تلزم المرأة البيت فتكون كقطعة أثاث منه)[1].

والقصيدة الثانية التي هي بعنوان نداء الخير :-

من ذا الذي يخشى حقيرا آبقا ... يبغي الملاذ إلى ضعيف واني
من ذا الذي يخشاه بعد سقوطه ... مترنياً في ذلة وهوان
ومن الذي يؤويه بعد هروبه ... من بطش جبار عظيم الشان
صهيون تضربكم بأمر قد أتى ... من ذي الجلال مدبر الأكوان
نلتم جزاءكم على أيديهم ... بضياع دين أشرف الأديان
فيمن تلوذوا؟ بالنصارى علهم ... يأتيكموا بالعون والإحسان

[1] - أدب المرأة في الجزيرة والخليج العربي،ليلى محمد صالح، ذات السلاسل الذهبية الكويتية،ط ١، ١٩٨٧م، ج٢، ص٤٠٦.

تـــتهددوا الأعـــداء بســـهم فـــارغ ســـنحطم الأعـــداء بكـــل مكان
أنـــتم ومـــن حاربـــتموه جميعكـــم في زيكـــم وســـلوككم صـــنوان
في قولكـــم في الفعـــل في أفكـــاركم مـــن ذا يصـــدق أنكم خصمان
لقـــد انحرفـــتم عـــن شـــريعة ربكم ولقـــد ســـلكتم مسلك الشيطان
تستصـــغرون كـــبائر الأشـــياء بـــل تســـتهزئون بمـــنهج القـــرآن
فنســـاؤكم تمشـــي ســـفورا بينكم وتجاهـــــرون الله بالعصـــــيان
تجـــري أمـــامكم وتجـــروا خـــلفها فخـــرا بـــهـــا ويؤمكـــم نصراني
والخمـــر أصـــبح عـــادة مألوفة فيكـــم بـــلا خجـــل ولا كتمان
وبذلـــتموا للراقصـــات نقودكـــم ســـفها فيـــا لـــلعار والخســـران
ضـــيعتموا في الـــلهو معظم وقتكم ورضـــيتموا بـــالذل والنقصـــان
هـــذا وأنـــتم تحـــت وطـــأة غاصب مـــاذا تـــرى لـــو أنكـــم بأمان
للمســـــرحية والفكاهـــــة أنـــــتم لســـتم لـــردع البغي والعدوان
والله إن النصـــر لـــن يـــأتيكموا أبـــدا وربي الواحـــد الديـــان
لـــو تـــتقون الله حـــق تقاتـــه عمـــلا وتوحيـــدا وصـــدق بيان
لأتـــاكم النصـــر المـــبين معجـــلاً لاشـــك ذا حـــق على الرحمـــن[1]

امـــتازت قصائدها بأسلوب يفيض بالنصيحة لطريق الخير، وتطفح منها كـــلمات الإيمان بالله وبالدين وبكلمة الحق، بعفوية صريحة تعبر عن مشاعرها، ويحق أن يقال لهذه الشاعرة إنـــها وحيدة عصرها[2].

---

[1]- المصدر السابق،ج٢، ص٤٠٧.

[2]- المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٥ــ٤١٠.

الخاتمة

إني أحمد الله تبارك وتعالى الذي وفقني لإنجاز هذا العمل وتقديمه كما هو عليه الآن، وإني أعترف بالتقصير في هذا البحث، ولكنني أضع فيه اللبنات الأولى لسير أمهاتنا الصالحات من أهل الدعوة، وأتمنى أن أرى من يواصل هذا الطريق ويكمل جوانب النقص، ولعله تظهر مع مرور الأيام من كنوزنا العلمية ومدخراتنا ما هو مستور مخفيّ فتتجلى به حقائق أنصع .

وفي نهاية بحثي أتوجه إلى أختي المسلمة فأقول لها هذه قطرات من بحر لجي من سير الصالحات الطاهرات ترطب القلوب، وأشعة هداية تنير الدروب.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

والسير على طريق الحق والنور والهدى أولى وأحق من تتبع سبل الغواية، وطريق الهداية واحد أبلج وطرق الضلال كثيرة متعرجة قال تعالى:﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ .

وإني أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من أمدني بالمساعدة وأخلص لي النصيحة ومهد لي السبل حتى أنجزت هذا العمل والله ولي التوفيق .

وختاما أقول اللهم إليك وحدك أرفع عملي، وإليك أتجه بدعائي، فلا تكلني إلى نفسي فأهلك، واحفظني من الزلل، وسدد خطاي وألهمني رشدي، وأغنني برحمتك عن خلقك يا أرحم الراحمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلِ اللهم وسلم على

سـيدنا محمـد وعلى آله وصحبـه أجمعين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

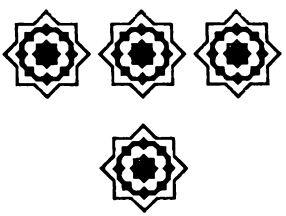

ملحق الخرائط

ملحق الخرائط

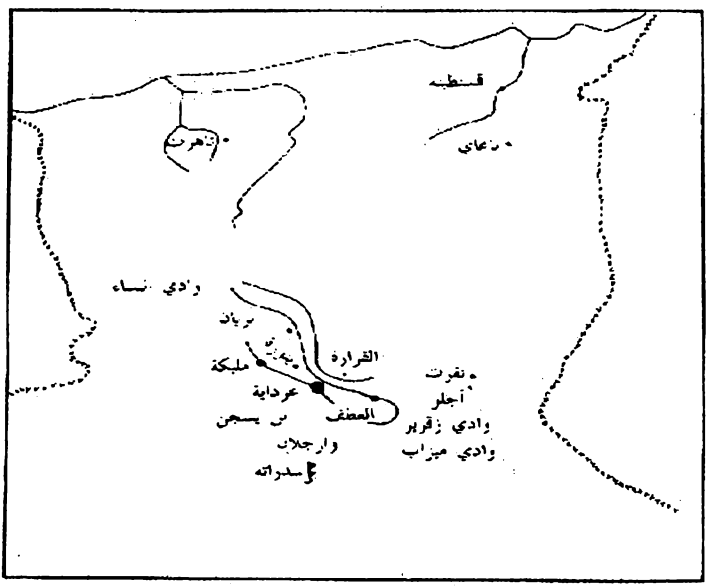

خريطة بلاد الجزائر : تحديد موقع وادي ميزاب . أحدث عن علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة : 148 .
أضفنا مدينة باتنة . و. محمد العطابي : الاسارة الاغنية : 263 .

خريطه رقم ١ [1]

[1] البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، مصدر سابق ، ص٣٧ .

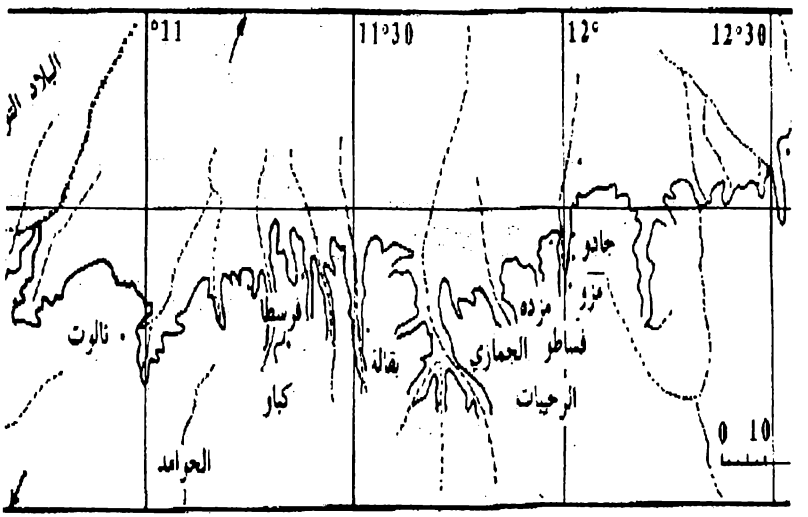

خريطة جبل نفوسة

جن المدن والقرى التي ذكرت في البحث .

جان ديو : جبل نفوسة . "الوحات عدد 18 و19

Despois. J.; Le Djebel Nefousa. Larose - Editeurs

j

lches 18, 19, 20 à la fin du livre.

خريطه رقم ٢[1]

[1] المصدر السابق ، ص ٣٤ .

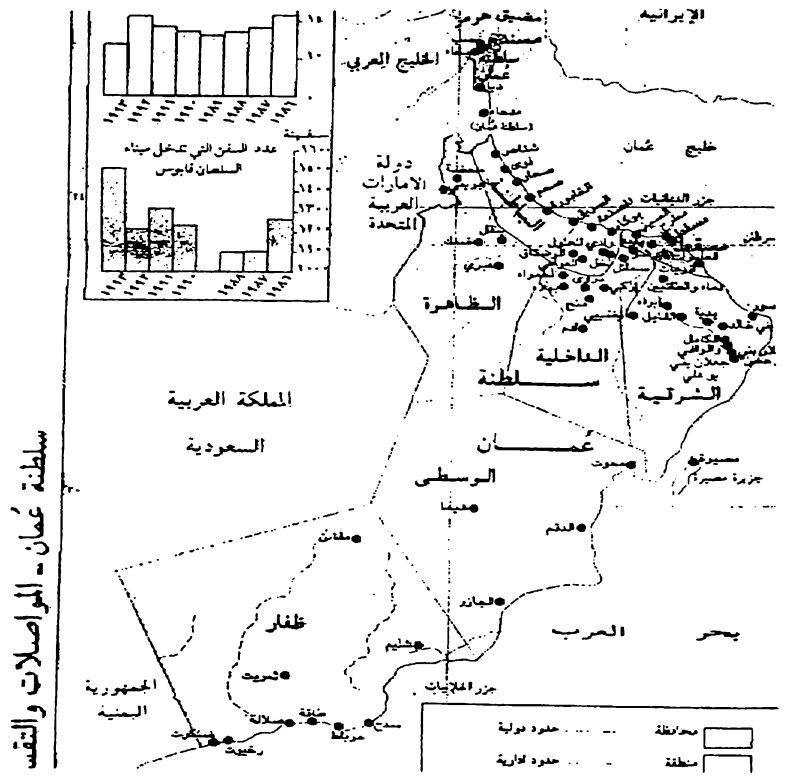

خريطه رقم ٢[1]

[1] أطلس سلطنة عمان والعالم للمرحلتين الإعدادية والثانوية ، وزارة التربية والتعليم ، ط٣ ، ١٩٩٥م ، ص٤٩ .

المراجـــع

أولا : المخطوطات :

١- " الأمهات الصالحات " الشيخ علي بن سالم بن ناصر الحجري، بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي مخطوط مصور في ملف التراجم والمعلومات برقم (١/٩) .

٢- بيان الشرع، الشيخ أحمد بن إبراهيم الكندي ،ج١٤، الذي أمرت بنسخه العالمة الفقيهة عائشة الريامية، بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي برقم (١٤ / ١) .

٣- بيان الشرع، الشيخ أحمد بن إبراهيم الكندي ج١٤، نسخته راية البيمانية، بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي برقم (١٤/٥).

٤- كتاب المحاربة لمؤلفه أبي المنذر بشير بن محمد، مكتبه، وزارة التراث القومي والثقافة برقم (٩٤١).

٥- كتاب علوم متفرقة تشتمل على رسالة الشيخ عامر بن سليمان الريامي للعالمة بنت مسعود بن سليمان العامرية، المؤلف مجهول، في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي برقم (٢٨ / ٩٩٩) .

٦- كشف الغمة في اختلاف الأمة وبيان فرق الأمة، المؤلف مجهول، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي برقم (ك / ١٠٥) .

٧- نسخة مطبوعة بالآلة غير محققة من كتاب تبصرة المعتبرين في سيرة العبريين، تأليف الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري من المخطوطة المكتوبة بيد سعيد بن عبد الله ابن محمد الدغاري .

ثانياً : الكتب العامة:

٨- أبو حمزة الشاري (البحوث المقدمة في ندوة من أعلامنا الثانية) تحت إشراف وزارة التربية والتعليم والشباب بحث حمود بن ناصر بن محمد الهاشمي، طبع بالمطابع الذهبية، ١٩٨٩م .

٩- أبو حمزة الشاري حياة من أجل الحق، د. فرحات الجعبيري، المطابع الذهبية، إصدار وزارة التربية والتعليم والشباب .

١٠- إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، الشيخ سيف بن حمود البطاشي، ج١،طبع خدمات الإعلان السريع،مسقط عمان،ط١، ١٩٩٢ م .

١١- أدب المرأة في الجزيرة والخليج العربي، ليلى محمد صالح، طباعة ذات السلاسل الكويتية ،جـ٢، ط١، ١٩٨٧ م .

١٢- أضواء على بعض أعلام عمان قديما وحديثا، عبد الله بن سالم الحارثي طبع بالمطابع العالمية بروي عمان، ط١ .

١٣- أطلس سلطنة عمان والعالم للمرحلتين الإعدادية والثانوية ، وزارة التربية والتعليم، ط٣ ، ١٩٩٥م .

١٤- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام عمر رضا كحاله، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت، جـ٥، ط٤ .

١٥- أنوار من القرآن الكريم (فيوض من سورة النور) د.محمد صالح ناصر، ١٩٩٣م.

١٦- الإباضية في موكب التاريخ، الشيخ علي يحيى معمر، ج٣،٢،١،مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، بسلطنة عمان، ط٢، ١٩٩٣م .

١٧- الإصابة في تمييز الصحابة،ابن حجر العسقلاني،دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط١، ١٣٢٨هـ.

١٨- الأعلام قاموس وتراجم وسير لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ،جمال الدين الزركلي، ج١ ، ٣ ، طبع دار العلم للملايين، ببيروت لبنان ، ط ٥ .

١٩- الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه، مبارك بن عبدالله الراشدي طبع بمطابع الوفاء بالمنصورة بمصر، ط١، ١٩٩٢م .

٢٠- البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، د. فرحات الجعبيري ، مطبعة جامعة السلطان قابوس ، مسقط عمان،ط١، ١٩٨٧م.

٢١- البيان في بعض أفلاج عمان ،الشيخ بدر بن سالم بن هلال العبري،المطابع الذهبية،سلطنة عمان روي، بدون تأريخ.

٢٢- الترغيب والترهيب،المنذري،قطر،بدون تأريخ.

٢٣- الجـــامع الصـــحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي الأزدي، دار الفتح، بيروت - لبنان.

٢٤- الزمرد الفائق في الأدب الرائق، الشيخ محمد بن راشد الخصيبي، ج٣،٢، وزارة الـــتراث القومـــي والثقافة،المطبعة الشرقية بسلطنة عمان، ط١، ١٩٦٣م.

٢٥- العقـــود الفضـــية في أصول الإباضية، الشيخ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، دار اليقظة العربية في سوريا ولبنان (بلاد الشام)، نشرطالب الضامري .

٢٦- العـــنوان في تأريخ عمان،سالم بن حمود السيابي،الناشر : أحمد بن محمد ابن عيسى الحارثي .

٢٧- الفكـــر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، عدون جهلان،مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط١٩٩١،٢م.

٢٨- المختار بن عوف القائد الداعية ، محمد شحاته أبو الحسن ، طبع مكتبة الضامري للنشر والتوزيع،ط١، ١٩٩١م .

٢٩- المعجـــم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدرامي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل،رتبـــه ونظمه لفيف مـــن المستشرقين ، نشره دكتور أ.ى.ونسنك .

٣٠- المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ، دار الأمواج ، بيروت لبنان ، ج١ ، ط٢ .

٣١- المغرب الكبير، د . السيد عبد العزيز سالم،ج٢، طبع دار النهضة العربية (العصر الإسلامي) ط١،١٩٨١م .

٣٢- المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت لبنان ، اللغة ط٣٠ ، الأعلام ط٢١.

٣٣- تاريخ المغرب الكبير، محمد علي دبوز،ج٣، طبع بدار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٩٦٣م .

٣٤- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، العلامة المحقق نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، ج١، طبع بالمطابع الذهبية بروي عمان، الناشر زاهر وزهير ابني حفيد المؤلف سعود بن حمد .

٣٥- جهينة الأخبار في تأريخ زنجبار، سعيد بن علي المغيري ،تحقيق :محمد بن علي الصليبي،وزارة التراث القومي بسلطنة عمان،١٩٨٦مـ .

٣٦- دراسات عن الخليج العربي، عبد الله بن محمد الطائي طبع بمطبعة الألوان الحديثة،ط١، ١٩٨٣م .

٣٧- رجال من التاريخ، علي الطنطاوي، جـ١، طبع بمطبعة دار الفكر بدمشق ط٢، ١٩٨٢ م .

٣٨- سقطرى الجزيرة السحرية،د محمد علي البار،العصر الحديث،ط١، ١٤١٧هـ.

٣٩- سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، الشيخ أبواليقظان الحاج إبراهيم،ج٢ ، طبع بالمطبعة العالمية بالجزائر، ١٣٧٦هـ .

٤٠- شخصية المرأة المسلمة،محمد علي الهاشمي،دار البشائر الإسلامية،ط٤، ١٩٩٧م.

٤١- شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان،الشيخ محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي،ج٣،٢، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان،ط١٩٨٩،٢م.

٤٢- صحيح مسلم بشرح النووي،دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان،ط ١٩٧٢،٢م.

٤٣- عمانيات في التاريخ، خليفة عثمان البلوشي، طبع بمطبعة عمان ومكتبتها المحدودة ش .م..القرم، ط١٩٩٣،١م.

٤٤- غرس الصواب في قلوب الأحباب،إعداد مشائخ دار القرآن،ج٦ إلى ج ١٠، طبع بمكتبة مسقط،روي بسلطنة عمان.

٤٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ابن حجر العسقلاني، حققه الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز،دار الفكر، بيروت لبنان،١٩٩٦م.

٤٦- فقـــه الإمـــام جابر بن زيد، يحيى محمد بكوش، طبع بمطابع دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط١، ١٩٨٦ م .

٤٧- قـــاموس الشـــريعة الحـــاوي طرقها الوسيعة، العلامة جميل بن خميس الســـعدي، ، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان طبع بمطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر بروي، ط١، ١٩٨٤م .

٤٨- قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش، بكير سعيد أعو شت ، طباعة مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٨ م .

٤٩- كـــتاب الجامع لابن جعفر، أبو جعفر الأزكوي، جـــ٣ بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، وزارة التراث القومي بسلطنة عمان، ط١ .

٥٠- كـــتاب السير للشيخ أحمد بن سعيد الشماخي، تحقيق أحمد بن سعود الســـيابي، ج١،٢،مطـــابع ســـجل العرب، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط١، ١٩٨٧.

٥١- كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، أبو زكريا يحيى بن أبي زكريا ، تحقيق إسماعيل العربي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط٢، ١٩٨٢م.

٥٢- كـــتاب طـــبقات المشـــايخ بالمغرب، الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني،ج١،٢، مطبعة البعث قسطنطينة بالجزائر .

٥٣- كـــنـــز العمال في سنن الأقوال والأفعال،حسام الدين الهندي،مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٨مـــ.

٥٤- لمحات من ماضي التعليم في عمان،إصدار وزارة التربية والتعليم وشئون الشباب،طبع بمطبعة عمان ومكتباتها ش.م.م.القرم،١٩٨٥م.

٥٥- مجموعة بحوث ندوة من أعلامنا الأولى عن الإمام جابر بن زيد بحث سليمان بن بشير بن ناصر الضوياني، المطابع العالمية ، روي بسلطنة عمان، ١٩٩٨ م .

٥٦- محاضرات في الوقف الإمام أبو زهرة،دار الفكر العربي،ط١٩٧١،٢م.

٥٧- محاضرة للشيخ أحمد الخليلي عن "جزيرة جربة".

٥٨- محاضرة للنساء عبر شريط بولاية الحمراء ألقاها الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي .

٥٩- مسلمات صالحات في روضة الإيمان تأليف بكير سعيد أعو شت، وأحمد ابن حمو كروم، المطبعة العربية بغرادية بالجزائر، ط١، بدون تاريخ النشر.

٦٠- مسند الإمام أحمد،الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار صادر،بيروت لبنان، بدون تأريخ.

٦١- معارج الآمال على مدارج الكمال، الشيخ العلامة عبد الله بن حميد السالمي، ج١،٤،مطابع العرب، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ط١٩٨٣،١ م .

٦٢- معجم البلدان،ياقوت الحموي،دار المعرفة،بيروت لبنان،١٩٩٣م.

٦٣- معجم لسان العرب،للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد الأفريقي المصري،طباعة دار صادر، بيروت لبنان،ط٣، ١٩٩٤م.

٦٤- معلومات تفضل بها بطلب مني الأستاذ أحمد بن ناصر بن سعيد البيماني من ولاية بهلا، سلطنة عمان .

٦٥- ملامح من الحركة العلمية عند الإباضية بجربة "من الفتح الإسلامي سنة ٤٧هـ إلى آواخر القرن الثاني عشر الهجري "، د فرحات الجعبيري .

٦٦- منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، الشيخ خميس بن سعيد الرستاقي الشقصي، ج٢، تحقيق سالم بن حمد الحارثي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه .

٦٧- موسوعة السلطان قابوس للأسماء العربية، أعلام عمان، إشراف محمد بن الزبير، طبع بالمطابع العالمية بمسقط، ط١، ١٩٩١م .

٦٨- نزهة المتأملين في معالم الأزكويين ، يحيى بن محمد بن سليمان البهلاني، طبع بمطابع النهضة بسلطنة عمان، ط١٩٩٣،١م٧١ .

٦٩- نزوى عبر الأيام معالم وأعلام، طبع ناصر بن منصور الفارسي، طبع بمطابع النهضة بسلطنة عمان تحت إشراف إدارة نادي نزوى اللجنة الثقافية،ط١، ١٩٩٤ م .

٧٠- نساء حول الرسول،محمد إبراهيم سليم،مكتبة ابن سينا .

٧١- نشـــأة الحركة الإباضية د . عوض محمد خليفات،مطابع الشعب بعمّان الأردن، ١٩٧٨ م .

٧٢- نفحات من السير (الإمام جابر بن زيد) د.فرحات الجعبيري طبع بمطبعة الألوان الحديثة دار الغرب الإسلامي ببيروت لبنان،ط١، ١٩٩٤م.

٧٣- نفحات من السير، بكير سعيد أعو شت، طبع بالمطابع العالمية، بروي بسلطنة عمان،ط١، ١٩٩٤م .

٧٤- نهضـــة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، الجزء الأول، المطبعة التعاونية، ط١، ١٩٦٥م .

ثالثاً المجلات والجرائد:

٧٥- جريدة عمان، عدد ٤٤١٠، تاريخ ٢١ يونيو ١٩٩٣.

٧٦- فعاليات ومناشط حصاد أنشطة المنتدى لعام ٩٢/٩١م،تحت إشراف وزارة التراث القومي والثقافة، إصدار ديسمبر ١٩٩٣ م.

٧٧- مجلة فتاة الإسلام، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، جـ٦، رمضان ١٤١٦هـ، فبراير ١٩٩٦م .

٧٨- مجلة مسيرة الخير"منطقة الباطنة "، إشراف وزارة الإعلام بسلطنة عمان، ١٩٩٥م.

٧٩- مجلة مسيرة الخير"منطقة الداخلية "، إشراف وزارة الإعلام بسلطنة عمان،١٩٩٥م.

٨٠- مجلة مسيرة الخير"منطقة الشرقية"، إشراف وزارة الإعلام بسلطنة عمان، ١٩٩٥م.

٨١- مجلة مسيرة الخير"منطقة الظاهرة "، إشراف وزارة الإعلام بسلطنة عمان، ١٩٩٥م.

٨٢- مجلة مسيرة الخير"ولاية مسقط"، إشراف وزارة الإعلام بسلطنة عمان، ١٩٩٥م.

الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	٧
تمهيد	١١
الفصل الأول (٢هـ - ١٥٠هـ)	٣٥
آمنة زوج الإمام جابر بن زيد	٣٧
الشعثاء بنت الإمام جابر بن زيد	٤٠
عاتكة بنت أبي صفرة	٤٢
هند بنت المهلب	٤٥
البلجاء الخزامية	٤٧
عبيدة بنت مسلم بن أبي كريمة	٥٢
سعيدة المهلبية	٥٤
الفصل الثاني (٢٠٠ هـ - ٢٥٠هـ)	٥٧
نانا مارن	٥٩
أم أبي ميمون الجيطالي	٦١
أم يحيى	٦٣
أم زعرور	٦٦
أم جلدين	٦٩
ابنة أبي مسور يصلتين	٧٢
أم الخطاب	٧٤
بـــهلولة	٧٦
ابنة أبان وسيم وتكفا بنت أبي عثمان	٧٨
منـــزو بنت أبي عثمان	٨٠
زورغ الأرجانية	٨٢
زوجة العالم المهدي	٨٥
فتاة من " ندباس "	٨٧

زوج محمد بن محبوب الرحيلي	٨٩
الفصل الثالث (٢٥٠هـ - ٣٥٠هـ)	٩٣
أخت أبي حفص عمروس المساكني	٩٥
الزهراء السقطرية	٩٩
الغاية	١٠٣
غزال	١٠٥
الفصل الرابع (٤٠٠هـ - ٤٥٠هـ)	١٠٧
نانا تابر كانت السدراتية	١٠٩
زوجتا أبي هارون موسى بن هارون	١١١
عافية (أم ماطوس)	١١٣
زينب بنت أبي الحسن	١١٦
الفصل الخامس(٤٥٠هـ -٥٠٠هـ)	١١٩
طوست زوجة أبي عبد الله محمد بن تامر	١٢١
أم ماكســـــــن	١٢٣
أمة الواحـــــــد	١٢٥
عائشة بنت معاذ بن أبي علي	١٢٧
الفصل السادس(١٠٠٠هـ-١٣٠هـ)	١٣١
عائشة بنت محمد العبرية	١٣٣
عائشة الريامية	١٣٦
راية البيمانية	١٤١
ماماسق	١٤٣
أم الشيخ صالح بن علي الحارثي	١٤٧
سق بنت عمر نتموسق	١٤٩
عائشة بنت الناصر محرزي	١٥١
سليمة الصقرية	١٥٣
شمسة الخليلية	١٥٥
عائشة بنت مسعود العامرية	١٥٩

نقية بنت عامر الحجرية	١٦٢
مامة بنت عبد العزيز	١٦٤
عائشة بنت عمر بن سليمان	١٦٦
مامة بنت سليمان	١٦٨
الفصل السابع(١٢٧٠هـ-١٣١٠هـ)	١٧٣
نساء في محراب العبادة	١٧٥
الأستاذة المربية ماهلة	١٧٧
ولطريق العلم سالكات	١٧٩
وللقرآن حافظات	١٨٢
معلمات لأفضل الكتب	١٨٣
حقا صائمة	١٨٥
ثرية ... ولكن	١٨٧
من أولياء الله	١٨٨
صاحبة الكرامة	١٨٩
أم اليتامى ومفرحة الأطفال	١٩١
الطبيبة العابدة	١٩٣
الفصل الثامن (١٣٢٠-١٤١٩هـ)	١٩٥
شيخة بنت إبراهيم بكير	١٩٧
ميرة بنت يحيى	٢٠١
زعيمة البارونية	٢٠٣
ثريا البوسعيدية	٢٠٥
عائشة الحارثية	٢٠٧
الخاتمة	٢١١
ملحق الخرائط	٢١٣
فهرس المراجع	٢١٩
الفهرس	٢٣١

حقوق الطبع محفوظة للناشر

رقم الايداع : ٢٧٣ / ٢٠٠١

طبع بالمطابع العالمية روي سلطنة عُمان ت:٧٧١٥٧٧١